جــــامعة الجزائر 2

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قســـم التاريخ

حرب الريف وأصداؤها في الجزائر

1921 – 1926م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر

إعداد الطالب:

الحواس منصوري

إشراف الأستاذ:

الدكتور مولود عويمر

السنة الجامعية

2011 - 2012

جـــامعة الجزائر 2
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قســـم التاريخ

حرب الريف وأصداؤها في الجزائر

1921 – 1926م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر

إعداد الطالب: إشراف الأستاذ:

الحواس منصوري **الدكتور مولود عويمر**

لجنة المناقشة

د.لزهر بديـــدة .... **رئيســاً .**

أ.د. مولود عويمر .... **مقــرراً .**

د . محمد بلقاسم .... **عضــواً .**

السنة الجامعية

2011 - 2012

إهداء

إلى أمي، وأبي، وإخوتي

إلى الأصدقاء

إلى كل ساعٍ في خدمة العلم ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى

أهدي هذا العمل المتواضع عسى أن يتقبل بقبول حسن

مقدمة:

يعالج بحثي هذا فترة من فترات المقاومة الشعبية ضد المستعمر في شمال المغرب الأقصى، في الفترة الممتدة من سنة 1921 حتى سنة 1926م وتأثير صداها في القطر الجزائري، مع العلم أن هذه المنطقة كانت في مواجهة دائمة ضد المستعمر الاسباني منذ القدم.

لقد كان لمعاهدة الحماية بين فرنسا والمغرب الأقصى في 30 مارس 1912م، أثرها السلبي على جميع المغرب الذي ثار ضد الفرنسيين في جميع أنحائه رافضا هذه المعاهدة، وبما أن المصالح الاسبانية في المغرب أقدم بكثير من المصالح الفرنسية بحيث يعتبرونه منطقة مصالحهم الخاصة، جاء تقسيم المغرب وفق معاهدة بين الدولتين المستعمرتين في 17 نوفمبر 1912م إلى مغرب شمالي تحت الحماية الاسبانية، ومغرب جنوبي تحت الحماية الفرنسية. ولم يستطع الاسبان أن يحققوا أي تقدم في الأراضي الخاضعة لهم نتيجة لمقاومة أهل المنطقة في كل محاولة.

وأن السبب الحقيقي لهذه الحرب هو عدم رضوخ قبائل المنطقة لإغراءات الاسبان والوقوف في وجههم في كل محاولة لتقدمهم، وأيضا المعاملة التي يعامل بها الاسبان قبائل المنطقة من ذل وإهانة، والاستغلال الواضح لهم بالرغم من أنهم كانوا يريدون العيش في سلام وحرية، فكانت الشرارة الأولى للحرب التي عرفت بالحرب الريفية بقيادة عبد الكريم الخطابي الذي كان أحد المقربين للاسبان ونتيجة للمعاملة المتكررة اقتنع بأنه مهما حاول العيش بسلام معهم فلا يمكن تحقيق ذلك لأنهم يعتبرون أنفسهم أصحاب الأرض فقام في وجههم إلا أن المنية عجلت في إتمام مهمته فسلم مشعل الحرب إلى ولده الأكبر محمد الذي كان البطل الحقيقي في سير أحداث الحرب وانتهت معه.

إن هذه الحرب التي أوكلت. لمحمد ابن عبد الكريم والتي كانت ثورة من ناحية تطورها فقد بدأها بثلة قليلة من الرجال إلى أن أصبح له جيش منظم وحديث ومزود بأحدث الأسلحة لم يستطع الاسبان أن ينتصروا عليه حتى وبتحالفهم مع فرنسا.فلم يجدوا ملجأ إلا

استعمال كل وسائل الحرب بما فيها أسلحة ممنوعة دوليا وهي استعمال الغازات السامة، التي كان أثرها واضحا في وضع حد لثورة الريف.

ومن النقاط الأساسية التي يشير إليها الموضوع الحكمة والنشاط التي تميز بهما محمد بن عبد الكريم الخطابي في جمع شمل القبائل بحيث لم يستطع أحد قبله أن يجمعها لما تتميز به من تناحر وتضارب فيما بينها فنظمها ودربها ووحدها لمواجهة عدوه، والحكمة في استغلال نقاط ضعف العدو وتحويلها إلى نقاط قوة لديه. ومدى تأثير هذه الانتصارات في الأوساط الجزائرية وتفاعلها معها خاصة وأنها تحت الاستعمار منذ قرن من الزمن.

أسباب اختيار الموضوع:

من أهم الأسباب التي دفعتني إلى البحث في هذا الموضوع أنه وفي غمرة اطلاعي على بعض المؤلفات التي تطرقت إلى ثورة الريف، وقائدها محمد بن عبد الكريم الخطابي، لم يشيروا إلى أهمية هذه الثورة ودورها في بث الوعي في الأقطار المستعمرة وخاصة صداها داخل القطر الجزائري وتتبعه لتطوراتها، ومدى تأثير شخصية الخطابي خاصة بعد الانتصارات المتتالية التي حققها. ثم تطورها إلى درجة التي أدت إلى التعاون الفرنسي الاسباني لإخمادها لأنهم يعرفون المخاطر التي تلحق بهم وبجميع الدول الاستعمارية إذ تم نجاحها ، فهذه الحرب لم تكن شوكة في حلق اسبانيا فقط كما إن هدفها التحرري كانت أفكاره تجول في الأوساط الجزائرية على أحر من الجمر.

تحديد إشكالية البحث:

تكمن إشكالية الموضوع الذي أريد معالجته في هذا العمل في الحكمة والطريقة التي سار عليها الأمير محمد بن عبد الكريم في شق طريقه لتحرير وطنه، والأساليب التي استعملها لتحقيق انتصاراته، بعيدا عن المقارنة بينه وبين عدوه لا من ناحية العتاد ولا القوة ولا التنظيم ولا غيرها، ومع هذا حقق ما لم يستطع أحد قبله تحقيقه، وقام بإنشاء دولة على أسس منظمة في جميع مجالاتها قائمة بذاتها تكون السبب في تهديد الوجود الاستعماري باعتبارها المشعل الذي ستنتهجه جميع الشعوب المستعمرة، وهنا تظهر العلاقة التي تربط الدول الاستعمارية فيما

بينها لحماية مستعمراتها بتقديم يد العون لبعضها. كما تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تسلط الضوء على الاحتكاك الواضح بين أقطار المغرب العربي خصوصا القطر الجزائري، من جراء تأثير هذه الثورة في الوسط الجزائري مع جميع طبقاته، وتأثير هذه الثورة أيضا على السلطات الفرنسية بالجزائر، والطريقة التي واجهت بها هذه الأخيرة هذا التأثير والتفاعل، كرد فعل لوضع حد لانتشار ثورة شاملة.

وهذا خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1921– 1926م.

وقد قسمت بحثي إلى مدخل وأربعة فصول.

عالجت في المدخل الوجود الاستعماري في المغرب من سنة 1912 حتى عام 1920م، أي منذ عقد معاهدة الحماية وهي الوثيقة التي بموجبها تعطي الصيغة الشرعية للعمل الاستعماري تحت اسم الحماية، والذي يظهر لنا الأوضاع التي تم فيها التوصل إلى القضاء على استقلال المغرب، وكيف كانت فرنسا هي السباقة لذلك بالرغم من أن اسبانيا هي صاحبة المصالح فيه، وكيف استقبل الشعب المغربي هذه الحماية وردت فعله. وذلك حتى يتم التمهيد للولوج إلى صلب الموضوع المتمثل في الحرب ضد اسبانيا ثم اسبانيا وفرنسا.

أما الفصل الأول فقد خصص لعرض موقع الريف الجغرافي، ومميزات أهله، وظهور شخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي، وأهم المحطات الرئيسية في حياته منذ ولادته حتى وفاته، وذلك ليتسنى لنا معرفة المنطقة التي دارت فيها أحداث الحرب والشخصية الفذة التي تزعمت المقاومة أثناء هذه الحرب.

وفي الفصل الثاني فقد أفردته للتكلم عن كيفية اندلاع الحرب الريفية، ومن ثم تشكيل الجمهورية، بحيث لم تكن تمثل رد فعل عفوي ضد التواجد الاستعماري وهيمنته على البلاد، بل كانت حركة واعية ومنظمة، واعية للظروف التي عاش فيها المغرب منذ بداية القرن العشرين والخضوع للسيطرة الأجنبية، ومنظمة لأن انطلاقها كان مبني على أسس فكرية وسياسية مهدت لانطلاق الفعل العسكري لتحقيق الأهداف الوطنية، ثم تحقيق حرية الوطن العربي ككل من

الاستعمار، ثم مقاومة الاستعمار أين كان في الوطن العربي، حيث أعتبر انتصار أنوال هو الذي وجه أنظار العالم إلى شمال المغرب، والتي من نتائجها تم تشكيل جمهورية ريفية قائمة بذاتها على أسس حديثة، وما نتج عنه اجتماع جميع القبائل وتكتلهم تحت راية واحدة.

وفي الفصل الثالث عالجت فيه امتداد المقاومة إلى الجهة الغربية، التي انضمت إليهم والأسباب التي أدت إلى ذلك بحيث أصبح شمال المغرب كله تحت قيادة رجل واحد، ثم أسباب التدخل الفرنسي الذي جاء في الوقت الذي تم فيه إنسحاب القوات الاسبانية ومن بعدها التحالف الفرنسي الاسباني الذي عجل في القضاء عليها لأنه أيقن أن تواجده في المغرب مرتبط بنجاح الثورة الريفية.

وفي الفصل الرابع تناولت فيه طريقة تداول الثورة الريفية في الجزائر، وكيف تم الكتابة عنها، وبينت التضامن الروحي بين القطرين اللذان يخضعان تحت رحمة مستعمر مشترك، وأيضا تأثير شخصية الخطابي عند العامة من الجزائريين في المقاهي والمساجد، ومتابعتهم لأخبار الريف ومحاولات اتصالاتهم ومؤازرتهم لإخوانهم، رغم المعاملة التي يتلقونها من المستعمر الذي كان يعلم ما ستؤول إليه الظروف إذ تم نجاح الثورة الريفية.وبالتالي أخذ في قمع من يؤيدها.

وفي الأخير ختمت بحثي بأهم ما خلصنا إليه من نتائج حول الحرب الريفية التي بينت بأنه مهما كانت قوة المستعمر، فإن قوة الحق أقوى من قوة الباطل وأن ثورة الشعوب راجع إلى وعيها.

كما بينت أن مهما كانت قوة المستعمر فإنه يأتي اليوم ولا محالة من زواله، وأظهرت أصداء الحرب في الجزائر كيفية التعامل معها مما يدل على وعي الشعب وبغض الاستعمار وحبه لإعانة إخوانه المسلمين.

وزودت بحثي بملاحق من الصور والخرائط والرسائل لتدعيمه، والإحالة إلى بعض الإضافات التي لا بد من تثبيتها والإشارة إليها، إلا أننا لا ننكر وجود بعض الصور التي تفتقر إلى الوضوح لأسباب خارجة عن إرادتي، على الرغم من الجهد الذي بذلته في سبيل توضيحها بشكل أكثر دقة.

وعلى رأس الصعوبات التي عرقلت طريقي هو الجانب المادي الذي يعاني منه أغلب الطلاب إن لم نقل أنه الهاجس الأكبر الذي يعرقل طريق كل باحث في جمع المادة العلمية بالتنقل إلى البلدان المجاورة، إلى جانب تدهور حالة المكتبة الجزائرية وعدم مبالاتها والتي راح ضحيتها عدد كبير من الكتب القيمة، إضافة إلى ندرة عدة مصادر بالرغم من أننا بذلنا جهدا في البحث عنها مثل " Mémoires d'Abdelkrim" للكاتب Roger Mathieu، وكتاب"Les.origines de la guerre du Rif" للكاتب Germain Ayache، مع العلم أننا صادفنا في طريقنا عدة مصادر كانت السبب في شق طريق البحث والتعمق فيه.

لقد توخيت طيلة انجازي لهذا البحث اعتماد المصادر الأقرب إلى المرحلة مثل الرجوع إلى ما كتبه الأمير وحققه محمد علي داهش في كتاب "صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار 1912–1927"، وكتاب "الظل الوريف في محاربة الريف" لصاحبه أحمد سكيرج الخزرجي وهو تصريح لوزير خارجية جمهورية الريف محمد أزرقان، يضاف إلى ذلك مصادر لا تقل أهمية عما ذكرناه وهي لموالين عاصروا تلك الفترة وأحاطوا بها خبرا، على شاكلة رشدي ملحس الصالح في كتابه "سيرة محمد بن عبد الكريم الخطابي"، وكريم خليل ثابت في كتابه "عبد الكريم والحرب الريفية"، والعربي اللوه في كتابه "المنهال في كفاح أبطال الشمال"، ومالك بن نبي في "مذكرات شاهد القرن"،.و Messali Hadj Ahmed في "Mémoires 1898-1974"، و Mahfoud Kaddache, Mohamed Guenaneche في "Lé Toile Nord Africaine, 1926-1937"، وجريدة المنتقد.

كما اعتمدت على مراجع لها أهمية هي الأخرى في تسليط الضوء على أحداث تلك المرحلة مثل كتاب "الخطابي وجمهورية الريف" وهو لمجموعة من الأساتذة منهم شارل أندري جوليان وجاك بيرك وغيرهم، وكتاب "عبد الكريم الخطابي وحرب الريف" لصاحبه محمد سلام أمزيان، وكتاب "Abdelkrim Une épopée d'or et de sang" للكاتبة Zakya Daoud، وأيضا ما وجدناه من مقالات منشورة في بعض المجلات.

وعلى الرغم من الجهود المبذولة من جانبـي في سبيل إثراء هذا البحث، إلا أن ذلك لا يمنع من ظهور العديد من الثغرات والنقائص، خاصة بالنسبة لنا نحن المبتدئين في مجال البحث. هذه النقائص يمكن تفاديها مستقبلا عن طريق النصائح والتوجيهات المختلفة من طرف الأساتذة الذين لا يسعني في هذا المقام إلا أن أجدد تشكراتي لهم على إسداءاتهم ونصائحهم القيمة، خاصة الأستاذ المشرف الذي كان لي عضدا وسندا شد من أزري وأنار دربي وحببني في العمل والبحث فيه فله مني موفور الاحترام والتقدير.

مدخل

الوجود الاستعماري في المغرب

1912-1920م

الوجود الاستعماري في المغرب (1912 – 1921):

الحماية الفرنسية :

إن دخول فرنسا وسيطرتها على المغرب كان نتيجة جهود دبلوماسية واتفاقات دولية . أعطت لفرنسا حرية العمل في المغرب وفق نظام الحماية، ونستطيع القول أن جميع المقدمات التي أدت إلى التدخل الأجنبي بصفة عامة قد تمت في الواقع أيام حكم السلطان عبد العزيز بالرغم أنه اعتزل أربع سنوات قبل فرض الحماية (1894 – 1908م)، إلا أن كل شيء حدث في عهدته، ربما هذا لفترة حكمه التي وصفت بالضعيفة [(1)]، وأيضا الامتيازات التي فرضها مؤتمر مدريد 1880م.

لقد أثبت مؤتمر مدريد حق رعايا الدول المشاركة فيه في امتلاك أراضي في المغرب وحق قناصلهم في استخدام من يرونه من أهل البلاد ويمنحونه حق الحماية، وبالتالي يصبح لهؤلاء المحميين من المغاربة الحق بأن يحاكموا في قضاياهم عند محاكم قنصلية. وكان الأهالي ولاسيما التجار يطلبون الحماية الأجنبية ليتخلصوا من جور الحكومة الشريفة ويشركون الأجنبي في تجارتهم وملكهم وأرباحهم لقاء حماية يظفرون بها من قنصل بلاده دون أن يكون له أي فلس في رأس المال، وامتد هذا الأمر إلى الأرياف وصار الأوربيون ولاسيما الفرنسيون المشاركون للأهالي أصحاب أملاك واسعة في البلاد، وأصبح الفلاحون يتمتعون بعدة امتيازات فلا يدفعون الضرائب ولا يجندون .....الخ. كما أن الحاكم المحلي (الباشا أو القائد) لا يتدخل فيهم لما يتمتعون به من حماية الأجانب. ونتيجة هذا أصبح هؤلاء المحميون أدوات استعمارية بيد القناصل تنفيذا لسياسة حكوماتهم [(2)].وقد أصبح اهتمام المغاربة بوثائق الحماية اهتمام كبير وعلى رأس الوثائق وثيقتان وهي الأوراق التي تثبت عملهم مع الأجانب والرسوم التي تثبت ما يملكون[(3)].

---

(1) - روم لاندو.: **تاريخ المغرب في القرن العشرين**، دار الثقافة، بيروت،1963، ترجمة الدكتور نقولا زيادة، ص.ص.61،62.

(2) - أمين الريحاني: **المغرب الاقصى رحلة في منطقة الحماية الاسبانية**، دار المعارف، القاهرة، 1952، ص.ص.31،32.

(3) - عبد المجيد بن جلول: **جولات في مغرب أمس قبيل الحماية**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء،(د.ت.ط). ص.48.

وعندما صدر الأمر من السلطان عبد العزيز بجمع الضرائب من الرعية قوبل بالرفض لما يتمتعون به من حماية الأجانب, كما أن الرعية الباقية سارت على نهجهم في عدم دفع الضريبة. وبالتالي سدت خزينة الدولة[1].

في هذه الظروف اضطر السلطان سنة 1903م إلى الاستدانة من (بريطانيا وفرنسا واسبانيا) ثمانمائة ألف جنيه إسترليني، وفي العام الموالي أقنعته فرنسا بقرض جديد وأكبر لتسديد الديون الأولى وكان الدين قدره اثنان وستون مليون فرنك بفائدة خمسة بالمائة. ختم السلطان أوراق القرض، ولضمان سداد الدين ختم أوراق الضمان، و كان هذا الضمان ستون بالمائة من جميع الواردات الجمركية وضعت تحت إشراف فرنسي. كما أن فرنسا أقرضته سنة 1905 و 1906م مبالغ صغيرة لشراء الأسلحة تحت شرط أن يكون هذا من شركة فرنسية (كروزو)[2]

بدأت فرنسا بإبعاد الدول الاستعمارية عن المغرب المشاركة من طريقها عن طريق المفاهمة، فتعهدت لإيطاليا في كتاب سري (01 نوفمبر 1902م) بأن تكون لها حرية العمل في طرابلس، أما انجلترا فدخلت مساومة أن تطلق فرنسا يدها في مصر تطلق يدها في المغرب وتمت الصفقة في (07 أفريل 1904م)، كما قامت فرنسا بإرضاء اسبانيا فعقدت معها اتفاق سري (03 أكتوبر 1904) على أن تكون في حمايتها المنطقة الشمالية [3]، ومن خلال هاتين الاتفاقيتين (أفريل وأكتوبر 1904م) ظهرت بوادر الحماية الثنائية على المغرب[4].

وعند عقد مؤتمر الجزيرة 1906م خرج بعدة قرارات، من بينها إنشاء قوة بوليسية فرنسية اسبانية وبنك مغربي تحت إشراف دولي وبحث مسائل الضرائب والجمارك وتقرر مبدأ المساواة في التجارة بين جميع الدول الممثلة في المؤتمر، والقرار الوحيد الذي تم التأكيد عليه

---

(1) - الريحاني: مرجع سابق، ص.36.
(2) - روم لاندو، **أزمة المغرب الأقصى**، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1961، ترجمة محمد إسماعيل وحسين الحوت، ص.63.
(3) - الريحاني: نفسه، ص.ص 40-41؛ أنظر محمد خير فارس: **تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب(1912-1930)**،(د.د.ن)، (د.م.ن)، 1972، ص.ص.3-70.
(4) - فارس: نفسه، ص.12.

هو سيادة السلطان واستقلاله ووحدة ملكه، إلا أن هذا القرار ليس له أهمية لما جاء في اتفاقيات 1904م[1]

هنا نلاحظ أن هذا المؤتمر لم يحل مشاكل المغرب بل بين أن المغرب لجميع الدول كما أن المغرب لم يربح أي شيء.

بعد الجهود التي قامت بها فرنسا في المغرب من معاهدات سرية لإبعاد الدول المنافسة وقروض مالية لتبقى هي الوحيدة المدينة، بدأت تبحث عن الأسباب لدخول المغرب عسكريا.

في 22 مارس 1907م قتل الطبيب الفرنسي موشان (Mou champ) في مراكش العاصمة في الجنوب ونتيجة لهذا عبر الفرنسيون حدود الجزائر من جهة الشمال الشرقي لمراكش واحتلوا مدينة وجدة، وبعدها بعدة أشهر لقيت الدار البيضاء نفس المصير، بسبب اعتداء المغاربة على العمال الأوربيين الذين كانوا يشيدون ميناءها، فثأر الفرنسيون للقتلى بضرب الدار البيضاء بالقنابل من البحر فدمرتها وقتلت من أهلها أضعاف عدد الضحايا [2]. ونتيجة لفظاعة الأمر يقول الصحفي وولتر هاريس مراسل صحيفة التايمز اللندنية وهو يصفها بعد القصف" لقد رأيت ما حدث بعد مرور بضعت أيام على قصف المدينة، وكان منظرا لا يصدق. خليط من الموتى وهياكل الخيل ....والكثير منهم جرحى، وبهم شحوب بعد أن عصف بهم الذعر، وكان بعضهم قد اخرج عن طريق الحفر من تحت أنقاض مساكنهم"[3].

بعد احتلال كل من وجدة والدار البيضاء أعطي للزحف الفرنسي على بلاد المغرب مدخلا من جهة الجزائر وآخر من جهة المحيط.

فبعد الدار البيضاء احتل الجنرال "داماد" بلاد الشاوية بعد محاربة القبائل نحو سنة، ثم استأنف زحفه حتى احتل القسم الأكبر منها، ثم جاء الجنرال "موينار" فاحتل تادلة (1909م) وهي تبعد عن الساحل الأطلنطي بمائتين كيلومتر. أما في الشرق خرج الجنرال "ليوتي" من

---

(1) - لاندو: **تاريخ المغرب**، مرجع سابق، ص.92.
(2) - لاندو: **أزمة المغرب**، مرجع سابق، ص.65.
(3) - عبد المجيد بن جلول: **جولات في مغرب أمس بعيد الحماية**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1975، ص.ص.9،10.

وجدة غربا بجنوب فوصل إلى دبدو فالعيون ثم إلى توريرت ثم دنى من تازة حيث في هذه المدة (1908ــ 1910م) احتلت الجيوش الفرنسية نحو ثلاثمائة كيلو متر من الشرق غربا بجنوب. وثلاثمائة كيلومتر من الغرب جنوب بشرق فدنت من العاصمتين مراكش وفاس [1].

ولما آلت إليه البلاد من تدهور قام العلماء ببيعة عبد الحفيظ وتنازل عبد العزيز على العرش (1908م)، فاعترفت به الدول شريطة أن يدفع ديون أخيه[2].

قام عبد الحفيظ بقرض جديد من فرنسا، حيث دفع بعض ديون أخيه وأيضا نفقات احتلال المناطق المغربية المختلفة والخسائر التي تعرض لها الرعايا في أثناء الحملات. وكضمان وضعت فرنسا يدها على الأربعين في المائة الباقية من إيرادات الجمارك[3].

رجع القرض لأهله ورجعت الخزينة كما كانت عليه ولم يبق للسلطان من مصادر الدخل سوى الضرائب والزيادة فيها، فأرهق هذا كاهل الرعية فثارت وفقدت الثقة فيه وتمردت القبائل فاضطر ونار الثورة تشتعل في فاس أن يطلب المساعدة العسكرية الفرنسية في 17 أفريل 1911م للقضاء على التمرد، بالرغم من أن الحكومة الفرنسية كانت قد قررت التدخل العسكري فى فاس منذ 03 أفريل أي قبل أسبوعين من طلب السلطان. غير أن طلب السلطان والذي كان بإلحاح منهم، بحيث أقنعوه بكل الوسائل ليستعين بقواتهم ليحل الأزمة، سهل لهم ذلك، فأمر الجنرال "موينار" بأن يدخل فاس فدخلها في 21 ماي 1911م ثم زحف إلى مكناس فاحتلها في 8 يونيو، وتلتها الرباط في 9 يونيو، فكانت هذه الأحداث هي السبب المباشر في احتلال عاصمة المملكة ووضع السلطان عبد الحفيظ تحت رقابة تقيد تحركاته وتصرفاته[4].

---

(1) - الريحاني: مرجع سابق، ص.ص.48-49.
(2) - نفسه، ص.51.
(3) - لاندو: **أزمة المغرب**،مرجع سابق، ص.66.
(4) - جمال قنان: **المقاومة المغربية ضد الاحتلال الفرنسي من احتلال فاس إلى معركة الهري 1911-1914**، دار هومة، الجزائر، 2008، ص.ص.15-26 ، الريحاني: نفسه،ص.ص.53،54.

وبما انه لم يبق لفرنسا غير ألمانيا لإسكاتها عقدت معها اتفاق في 04 نوفمبر 1911م، جاء فيه تنازل فرنسا عن مناطق هامة من ممتلكاتها في الكونغو لألمانيا مقابل أن يكون المغرب من نصيبها والاعتراف بحقها في إقامة نظام الحماية فيه[1].

عملت السلطات الفرنسية على تكليف بعض الأعوان والعملاء لحراسة السلطان ومراقبته كي لا يقوم بأي حركة أو مبادرة تؤدي إلى انهيار ما وصلت إليه فرنسا، كما أن السلطان نفسه أوقف جميع نشاطاته وانصرف انصرافا كليا عن الاهتمام بالبلاد واعتبر مهمته قد انتهت بعد دخول القوات الفرنسية إلى فاس، وبالتالي أصبحت الطريق مفتوحة لإعلان الحماية فأرسلت فرنسا السيد "رينو" إلى فاس مقيما مؤقتا ثم عقدت والسلطان عبد الحفيظ في 30 مارس 1912م المعاهدة التي قضت على استقلال المغرب[2].

ويقول علال الفاسي "أما مراكش فلم تعترف قط بهذه المعاهدة لأنها وقعت في ظروف إكراه كامل، حيث اجبر السلطان عبد الحفيظ على التوقيع عليها تحت ضغط الجيش الفرنسي الذي احتل العاصمة وغيرها من المدن المراكشية الكبرى، ولذلك أعلن الشعب ثورته وهب في كل الأنحاء يقاوم المحتلين واضطر عبد الحفيظ للتنازل عن العرش لأنه لم يسمح له ضميره بالتضامن مع الفرنسيين ومعاكسة إرادة الأمة التي التجأت لشواهق الجبال تدافع عن نفسها وتحمي عرينها"[3].

---

[1] - الريحاني: مرجع سابق، ص.57.

[2] - قنان: المرجع السابق، ص.28؛ الريحاني: نفسه، ص.58.

[3] - علال الفاسي: **حديث المغرب في المشرق**، المطبعة العالمية، القاهرة، 1956، ص.98.

الحماية الاسبانية:

إن المصالح الاسبانية في المغرب أقدم بكثير من المصالح الفرنسية، كما يعتبر الاسبانيون كل من (مليلة وسبتة) لا على أنها مستعمرات ولكنها جزء من الوطن الاسباني، وأن المغرب منطقة مصالحهم الخاصة، إلا أن المنافسة الاستعمارية عليه بثت في نفوسهم القلق[(1)].

وبما أن فرنسا كانت هي السباقة في سير الأحداث، تراءت لها الإمبراطورية الشمال افريقية بعد احتلال كل من الجزائر وتونس. فأوقفت أطماع ايطاليا في المغرب، اتفاقية (1902م) واقترحت في العام التالي على اسبانيا اتفاقية، تحتفظ بموجبها فرنسا لنفسها بالنفوذ على منطقة المغرب وتخول لاسبانيا السيادة على منطقة فاس وتازة وحوض سبو وشمال البلاد كله. إلا أن اسبانيا لم ترد على هذا العرض لتخوفها من قبولها دون علم انجلترا. وبعد عقد الاتفاق الانجليزي الفرنسي (07 أفريل 1904م) جاء الاتفاق الفرنسي الاسباني (03 أكتوبر 1904م) حيث قلصت المنطقة الاسبانية السابقة وتركت فاس وتازة خارج منطقتها [(2)]. ويرجع هذا إلى أن فرنسا كسبت ولاء انجلترا وأيضا ما تخلت لها عنه في اتفاق (أفريل 1904م).

بعد توقيع معاهدة الحماية (30 مارس 1912م) بين فرنسا وسلطان المغرب، لم تقبل اسبانيا. وبعد مشادات ومفاوضات بينها وبين فرنسا، وصلت الحكومتين إلى اتفاق معدل لاتفاق سنة 1904م، وتم توقيع المعاهدة في 27 نوفمبر 1912م[(3)]،وأضفتها بموجبها صيغة الشرعية على عملها الاستعماري تحت اسم الحماية، ومقابل أراضي الكونغو التي اضطرت فرنسا إلى التخلي عنها لألمانيا خسر الاستعمار الاسباني الضفة اليسرى لنهر ورغة وقطعة صغيرة محاذية لنهر ملوية والأراضي الواقعة جنوب خط عرض 35[(4)].

[(1)] - لاندو: **أزمة المغرب**، مرجع سابق، ص.78.
[(2)] - ميكل مرتين: **الإستعمار الاسباني في المغرب(1860-1956)**، منشورات التل، مطبعة النجاح، الرباط، 1988، ترجمة عبد العزيز الوديي، ص.ص.17،18.
[(3)] - الريحاني: مرجع سابق، ص.59.
[(4)] - مرتن: نفسه، ص. 20.

لقد شكل هذا الاتفاق السند القانوني الذي ارتكز عليه حق التزامات اسبانيا في حمايتها للمغرب[1] والسيطرة الكاملة على سواحله الشمالية، ما عدا طنجة التي تعتبر منطقة دولية، وكان حاكم المنطقة الاسبانية هو خليفة السلطان وبجانبه مندوب سام اسباني يماثل دوره دور المقيم العام الفرنسي في المنطقة الفرنسية [2]، وبالرغم انه لا يوجد اتفاق مباشر بين اسباني والمغرب ورغم أن السلطان يوسف وافق في 04 ماي 1913م على الاتفاق الفرنسي الاسباني فان المغاربة عامة كانوا يرفضون الاعتراف بصحة ذلك ويعتبرون أن الاسبان في المغرب إنما يتمتعون بحقوق "المستأجرين الثانويين" التي أخذوها من الفرنسيين[3].

ويمكن القول أن المنطقة الاسبانية متعلقة وتتغير وتتقلص دائما لما تقوم به فرنسا في المغرب

ويبين لنا أمين الريحاني حدود المنطقة الإسبانية فيقول[4] :

"الحد الشمالي : يمتد من بحر الأطلنتيق إلى النهر الفاصل بينها وبين الجزائر. أي نهر ملوية وعلى هذا الشاطئ الإفريقي من البحر المتوسط المدن الثلاث بمرافئها ومراكزها المهمة أي طنجة وسبتة ومليلة وهي كلها خارجة من حكم المنطقة الخليفية الإسبانية.

أما حدها البحري الغربي فهو يمتد من طنجة والأصح من رأس السبارتل في خط مستقيم جنوبا إلى الأصيلة فالعرايش، فنحو خمسة عشر كيلومترا دونها.

هذان الحدان الشمالي والغربي ثابتان ما ثبتت البحار ولا خوف ولا جدال فيهما وهناك الحد الشرقي بين هذه المنطقة والجزائر. من مصب نهر ملوية وراء جبل "كبدانة"، إلى نحو سبعين كيلومتر غربا بجنوب. وفي الناحية الشمالية منه الجسر الدولي الواصل إلى الطريق بين

(1) - مرتن: مرجع سابق، ص. 39.
(2) - لاندو: **أزمة المغرب**، مرجع سابق، ص. 116.
(3) - لاندو: **تاريخ المغرب**، مرجع سابق، ص. 106.
(4) - الريحاني: مرجع سابق، ص. ص.142-144؛ أنظر عبد الحميد بن أبي زيان بنشنهو: **النظام الإداري بالمغرب**، مطبعة الرسالة، الرباط، 1962، ص.ص.67،68.

مليلة ووجدة. وهذا الحد الشرقي أي سبعون كيلومتر من مصب ملوية إلى أمشير كليلة مثل الحدين الآخرين، ثابت ماثبت النهر، ولا خلاف فيه ولا جدال. ولا يخشى عليه.

بقيت الحدود الجنوبية بين المنطقتين الخليفية والسلطانية وقل بين الحكومتين الإسبانية والفرنسية، حيث كانت متغيرة وهذا راجع إلى المعاهدات المعقودة بينهما.

ففي سنة 1904م كانت الحدود تمتد من نهر ملوية إلى المهدية على شاطئ الأطلنتيق عند مصب نهر السبو، أي مائة كيلومتر من العرايش ثم تغيرت في المعاهدة الثانية 1912م فنقلت غربا إلى قرب العرايش – شربت جنية الاستعمار النهر – فالتقت بالنهر الآخر لوكوس شرقي القصر الكبير. وماشته شرقا إلى مكان في الأخماس يبعد نحو خمسة وعشرين كيلو مترا من شفشاون، ثم جنحت جنوبا إلى باب زيتونة، فجنوبا بشرق إلى نهر الوط على نحو أربعين كيلو متر من كتامة، فشرقا بشمال إلى جزناية فأكلت نصف الجبل وراحت تتعرج وتتبختر إلى أمشيرا على نهر ملوية".

وتعتبر المنطقة الإسبانية أكثر فقرا من المنطقة الفرنسية حيث يسودها الطابع الجبلي إذ استثنينا مناطق ضيقة صالحة للزراعة[1]. إلى جانب مناجم الريف وغير هذا لم يكن في التراب المغربي شيء يفيد اسبانيا[2].

---

[1] - لاندو: **تاريخ المغرب**، مرجع سابق، ص.208.

[2] - مرتن: مرجع سابق، ص.29.

رد الفعل الثوري على الحماية:

لا نستطيع ذكر جميع الثورات وتفصيلها إلا أننا نذكر البعض منها والتركيز على الأحداث البارزة فقط وبإيجاز لعدم الإطالة والابتعاد عن الموضوع مع العلم أن مقاومة المحتل مست جميع أنحاء المغرب، وفي كل منطقة وطأتها أقدام المحتل، وجدت رد فعل من أهلها.

المنطقة الفرنسية:

حوادث 17 أفريل 1912م بفاس:

بعد حوالي أسبوعين من توقيع معاهدة الحماية، ظهر رد فعل عنيف من طرف سكان فاس يرجع سببه إلى أن بعض وحدات الجيش المغربي تمردت وقتلت بعض المدربين الفرنسيين وكانوا مزودين بسلاح جيد وحقد شديد على الفرنسيين، وانتشروا في أحياء المدينة التي كانت تعيش في جو مشحون ضد تغلغل النفوذ الفرنسي في البلاد وتحكمه في زمام الأمور، فسادت الفوضى ونجم عن هذا مهاجمة الأحياء الأوربية، واغتيال عدد من الفرنسيين المدنيين القاطنين بفاس، وقد كان الرد الفرنسي عنيف لتوقيف التمرد وهذا باستعمال المدفعية الثقيلة التي راح ضحيتها عدد كبير من المغاربة، إلى جانب تخريب وهدم عدد كبير من المنشآت وفرض غرامة ثقيلة على السكان وعلى إثر هذه الحوادث قامت الحكومة الفرنسية بتعيين ليوتي مقيم عام على المغرب(1).

معركة فاس:

لقد أدت حوادث مدينة فاس إلى انتعاش روح المقاومة لدى السكان حيث ظهر سي محمد الحجامي الذي تصدر حركة المقاومة وقام بالهجوم على العاصمة لإخراج الفرنسيين في 25 ماي ومعه ستة آلاف مقاوم وهو نفس اليوم الذي تم فيه استقبال المقيم العام ليوتي من طرف السلطان. ورغم تحصنات العدو فقد ألحق به أضرار كبيرة، إلا أن نقص الذخيرة أدت به إلى

(1) - قنان: مرجع سابق، ص. ص.86-113.

الانسحاب. وبقي سي محمد الحجامي مصرا على الهجوم على فاس وفي 01 جوان عندما كان في معسكره في المكان المسمى الحجرة لكحيلة مع زعماء القبائل لوضع خطة محكمة لتطبيق هجومهم باغته القائد العسكري الفرنسي "غورو" الذي كان على رأس وحدة قتالية قوامها ثلاثة آلاف رجل وقام بتشتيت تجمع المقاومين وإبعاد خطرهم على العاصمة نهائيا(1).

المقاومة في مدينة مراكش:

لقد أصبح المغرب كله في صراع دائم ضد الاحتلال الأجنبي حيث في أواخر شهر جويلية 1912م ظهرت مبايعة سلطان جديد هو احمد الهبة ابن الشيخ ماء العينين الذي يرجع إلى أبيه وله الفضل في توحيد قبائل الجنوب (2) وقد امتدت حركته من منطقة السوس التي تمت مبايعته فيها سلطانا جديدا نحو الشمال إلى مراكش التي استولى عليها ودخلها في 18 أغسطس وبايعه كل أعيان المدينة بما فيهم القياد الأربعة الذين أظهروا ولاء ظاهريا له (3). واجتمعت القبائل نحوه وبدا يعد العدة ليتوجه إلى الشمال وهذا ما أقلق ليوتي فألف له قوة بقيادة الكولونيل مانجان ليمعنه من التقدم، وبالفعل في 29 أغسطس نجح الكولونيل في إيقاف تقدم الهبة وهذا بالتعاون مع قادة الجنوب الأربعة الذين الحقوا به هزائم عديدة آخرها في سيدي بوعثمان التي كانت المنعرج الحاسم في دخول ما نجان مراكش في 8 سبتمبر. واندحار قوات الهبة باتجاه الجنوب إلى منطقة السوس التي بدا منها وأصبحت مراكش تمثل قاعدة أساسية للحماية الفرنسية في الجنوب المغربي(4).

ربط المغربين:

في شرق المغرب كانت فرنسا قد استولت على جميع مناطقه من واد ملوية إلى غاية منطقة بوذنيب ولم يبق لليوتي إلا أن يربط هذا الجزء بالجزء الغربي أي غرب المغرب عن طريق احتلال مدينة تازة. وكان يعلم بأن هذا الربط لا يتم بسرعة ولا في الفترة المطلوبة وهذا

(1) - قنان: مرجع سابق، ص. ص. 122-130.
(2) - مرتن: مرجع سابق، ص.25.
(3) - أنظر قنان: نفسه، ص.151؛ فارس: مرجع سابق، ص.94.
(4) - فارس: نفسه ، ص.95.

راجع إلى المقاومة التي ستعترضه من قبل الشعب المغربي، وبالتالي يجب التمهيد له جيدا من الناحيتين الشرقية وجدة والغربية فاس.

في سنة 1914م عقد ليوتي مؤتمرا في وجدة مع كل من قائد المنطقة الشرقية "بومغراتن" وقائد منطقة فاس "غورو" تم فيه وضع مشروع الوصل بعمل مشترك بين قوات المنطقتين ومد السكة الحديدية من المنطقتين نحو تازا. وعندما بدأت فرنسا في تنفيذ المشروع ظهرت مقاومة عنيفة من طرف قبائل التسول والبرانس وغياثة ومجموعة القبائل التي أنظمت تحت قيادة الحجامي في وجه تقدم قوات غورو. ومن الناحية الشرقية تحركت قوات بومغراتن نحو تازا التي دخلها واحتلها دون مقاومة تذكر أما غورو فاصطدم بمقاومة صلبة أدت إلى توقف قواته عن التقدم قرابة شهر فبقي إلى غاية 12 ماي والتي كانت فيها المعركة الفاصلة، حيث تمكن من تشتيت تجمع المقاومين وهذا ما جعل قبيلتي التسول والبرانس تطلب الخضوع والاستسلام، وفي 17 ماي دخل ليوتي تازا واحتفل باحتلال المدينة حيث يعتبر هذا الربط والوصل بين المغربين مشروع له أهمية كبيرة بإكمال احتلال شمال إفريقيا الفرنسية. كما أن احتلال تازا لا يعني توقف المقاومة بل بقي الفرنسيون يدافعون دائما عن الطريق الجديد لتأمين المواصلات حيث بقيت القبائل المجاورة في حالة دفاع رغم سياسة الترهيب والترغيب التي استعملتها فرنسا[1].

احتلال إقليم زيان ومعركة خنيفرة:

لقد أصبح إقليم زيان منطقة نشاط المقاومين بعد احتلال فرنسا المناطق المجاورة وكان يتزعمه محا أحمو الزياني، وأصبح ليوتي يعطي إقليم زيان أهمية كبيرة لأن قبائله كانت تقطع خط المواصلات بين مراكش وفاس عبر أم الربيع وخنيفرة، فكلف ليوتي الجنرال "هنريس" للقيام بعملية احتلاله، فبدأ الهجوم في 10 جوان 1914م وبعد معركة ضارية نجحت القوات الفرنسية المقدرة بثلاثين ألف جندي في 12 جوان من احتلال خنيفرة[2].

[1] - قنان: مرجع سابق، ص.ص. 261،262.
[2] - فارس: مرجع سابق، ص. 99.

غير أن القوات الفرنسية لم تستطع بسط يدها على إقليم زيان بل بقية وكأنها محاصرة في خنيفرة وهذا راجع إلى اشتداد المقاومة والذي وافق اندلاع الحرب العالمية الأولى والتي بدورها عرقلت مخطط المقيم العام في السيطرة على هذا الإقليم[1]

المقاومة أثناء الحرب العالمية الأولى:

لقد أوجدت الحرب مشكلات منها تناقص القوات العسكرية الفرنسية في العدة والعدد وما وافقه من ازدياد لنشاط الثوار.

حيث تلقى ليوتي في 27 جويلية برقية من وزير الخارجية يطلب منه تقليص عدد القوات في المغرب خدمة للهدف الأول وهو حماية الوطن الأم ويقلص احتلاله في المغرب إلى الشواطئ وإخلاء كل المراكز الأمامية كما يجب إجلاء المواطنين الفرنسيين والأجانب إلى الموانئ لتأمين سلامتهم كما حدد عدد القوات التي يجب إرسالها والتي يجب إبقاؤها، ولكن ليوتي لم يوافق على هاته الإجراءات لأنه يعلم أن سحب قواته إلى الشواطئ سيترك مجالا لثوران الشعب وتقفي أثره وبالتالي لا يستطيع حتى الاحتفاظ بالساحل، لكن ليوتي قام بإنقاص عدد القوات وإرسال العدد المطلوب دون التراجع ولو شبرا واحدا[2].

وبعدما شاع خبر اندلاع الحرب مع نقص عدد القوات الفرنسية، زاد في نشاط الثوار فأخذ محا أحمو يضاعف هجماته لاسترداد خنيفرة باعتقاده أن الفرنسيين سينسحبون لنقص عددهم إلا أن جهوده فشلت بين أوت وأكتوبر وهذا لتحصنات العدو في مواقعهم فاستقر في قريته الهري التي تقع على بعد خمسة عشر كيلومتر من جنوب شرقي خنيفرة[3].

معركة الهري:

أراد العقيد لافيردير قائد حامية خنيفرة القيام بهجوم على منطقة الهري مقر إقامة قائد المقاومة للقضاء عليه إلا أن طلبه قوبل بالرفض من طرف الجنرال هنريس الذي أصبح على

---

[1] - قنان: مرجع سابق، ص. 277.
[2] - فارس: مرجع سابق، ص. 100.
[3] - بن جلول: **جولات قبيل الحماية**،مرجع سابق، ص. 74.

رأس قيادة المغرب الشمالي ناحيتي (فاس ومكناس) وأيضا من طرف المقيم العام ليوتي عند زيارته لخنيفرة يوم 5 أكتوبر لدراسة الأوضاع في المنطقة. إلا أن لافيردير خرج من تلقاء نفسه صبيحة 13 نوفمبر 1914م قاصدا الهري ضانا منه أن العملية سهلة، وفعلا تم عملية الدخول إلى القرية بسهولة وانسحب قائد المقاومة إلى خارجها، فبعث لافيردير سرايا من جنده للبحث عنه فاغتنم المقاومون هذا النقص وأحاطوا به من كل جهة وأخذو ا بمحاربته ومن بقي معه وكانت الخسائر كبيرة، فقد قتل العقيد لافيردير وعدد كبير من الضباط قدر بثلاثة وثلاثين ضابط وستمائة وخمسين جندي ومائة وستة وسبعون جريح إلى جانب المدافع والرشاشات الثقيلة والذخيرة، حيث لم تعرف فرنسا خسائر بهذا الحجم من قبل في المغرب[1].

كما تعرض ممر تازا للخطر الشديد طيلة الحرب وامتد نشاط الثوار حتى الحدود الجزائرية كما عاود الهبة نشاطه معتمدا على المساعدات الألمانية التي وصلته عن طريق الغواصات كما امتد نشاط الدعاية الثورية حتى فاس إلا أن ليوتي اتخذ عدة إجراءات لمجابهة هذه الأخطار فقد اكتفى في عمله العسكري على المحافظة على المناطق المحتلة فقط وان لا يقوم بأي عملية توسع كما كان حريصا على أن يعمل جاهدا لتجنب إثارة الثوار وقام بإلهاء المغاربة بفتح الورشات وبناء الأبنية وشق الطرق وإنشاء الموانئ والمعارض والأسواق وهذا ليظهر للمغاربة بأن الفرنسيين أقوياء ولا يخافون شيئا[2].

وبالفعل فقد استطاع ليوتي الحفاظ على ممر تازا كما نجح في مواجهة خطر الهبة بفضل معاونيه قواد الجنوب الكبار، كما حافظ على جميع المناطق التي احتلها وإحباط جميع المحاولات للقيام بعمل ثوري عام. وبعد 1920م عاد عدد القوات الفرنسية إلى ما كان عليه قبل الحرب تسعين ألف جندي، وصار بمقدور ليوتي أن يتابع عملياته العسكرية بهد ف الحماية الفرنسية على كل المغرب[3].

---

(1) - أنظر قنان: مرجع سابق، ص. ص284-287 ؛ فارس: مرجع سابق، ص. ص.104، 105؛ عبد الكريم غلاب: **قصة المواجهة بين المغرب والغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003. ص. 56.

(2) - فارس: نفسه ،ص.106.

(3) - ابراهيم شحاتة: **نصوص ووثائق في تاريخ المغرب تحت حكم الحماية**، منشأ المعارف، الإسكندرية، 1977، ص.196.

المنطقة الاسبانية:

لقد كانت المقاومة المسلحة في هذه المنطقة تمثل امتدادا تاريخيا لمقاومة أبناء المغرب للاحتلال العسكري الاسباني منذ القرن الخامس عشر، وقد شهد مطلع القرن العشرين حركة مقاومة بسببها لم تستطع القوات الاسبانية التغلغل في الشمال المغربي، وكانت المقاومة تحت قيادة الشريف محمد أمزيان في الفترة الممتدة (1909– 1912م)[1] في إقليم الريف، فيما قاد المقاومة في إقليم الجبالة ضد النفوذ الأوربي بشكل عام الشريف أحمد الريسوني [2]، إلا انه بعد إعلان الحماية وعقد الاتفاق الاسباني الفرنسي الذي حدد منطقة النفوذ الاسبانية بدأت قواتها تتوسع في مناطق نفوذها وتعددت أساليبها في بسط سيطرتها بين التدخل العسكري والتغلغل السلمي.

ففي إقليم الريف وبعد استشهاد الشريف محمد أمزيان في 10 ماي 1912م في معركة واد الديب تزعم المقاومة بعده المجاهد محمد بقيش. وقد كلفت مقاومة الشريف محمد أمزيان القوات الاسبانية خسائر كبيرة ماديا وبشريا حيث فاتت ما قيمته مائة مليون بيزتا إسبانية، وبعد إعلان الحماية توقفت حركة المقاومة بسب الهجمات الكبيرة والتفوق في السلاح الذي كان له الدور الحاسم في إخماد حركة المقاومة [3] ومن ثم بدأت الجهود السلمية حيث استطاع الاسبان خلال هذه الفترة التوغل إلى داخل إقليم الريف وفرض نفوذهم على الكثير من المناطق والقبائل، كما استطاعوا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى بنشر مائة وستة وتسعون معسكر في إقليم الريف لوحده والسيطرة على مناطق وقبائل متعددة وبالتالي أصبح معظم إقليم الريف في قبضة النفوذ الاسباني[4].

---

[1] Zakya Daoud, **Abdelkrim Une épopée d'or et de sang,** éditions Séguier, Paris, 1999.

[2] - هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن المكي بن أبي بكر حيث ينتهي نسبه إلى فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ولد بقرية الزينات من قبيلة الفحص سنة 1870م نشأ بها وتربى في حضن والدته حيث مات والده وهو صغير، حفظ القرآن الكريم وهو صغير وتربى في أجواء دينية وثقافية عامة أسس أجداده زاوية دينية جهادية هي زاوية "تازروت" كان لها دورها في تعبئة السكان للجهاد ضد المعتدين هذه الظروف التي نشأ في ظلها جعلته واعيا لما يحيط به، وأدرك بعمق مايخطط له الأوروبيون تجاه المغرب منذ مطلع القرن العشرين، وعلى ذلك كانت المواجهة بعدما توسعت الدائرة الشعبية من حوله. للمزيد أنظر العربي اللوه: **المنهال في كفاح أبطال الشمال**، مطابع الشويخ ديسبريس، تطوان، 1982، ص.ص.53-55.

[3] - الأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي: **صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار 1912-1927**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010، تحقيق محمد علي داهش، ص.ص.67-68.

[4] - نفسه، ص.55.

أما إقليم الجبالة فقد كان يشهد كفاحا مسلحا بقيادة الشريف أحمد الريسوني وقد مر بمرحلتين الأولى منذ فرض الحماية إلى غاية بداية الحرب العالمية الأولى، والثانية أثناء الحرب العالمية الأولى.

فالمرحلة الأولى تميزت بالطابع العسكري المباشر حيث بعد الاتفاق الاسباني الفرنسي 27 نوفمبر 1912م اتخذ الشريف الريسوني " الزنتان " في قلب الجبالة كقاعدة للمقاومة وبقي خلال شهر ديسمبر يعد العدة لمواجهة العدو الذي كان قد احتل منذ 19 فيفري 1913م مدينة تطوان واتخذها عاصمة للمنطقة الخليفية وأصبح مولاي المهدي خليفة السلطان يوسف منذ 27 أفريل 1913م وفي 11 ماي 1913م عقد الريسوني مؤتمر "عين تادلة" وهو أول مؤتمر شعبي عرفته حركة المقاومة الجبالية، وهذا لتجميع أكبر عدد من المقاومين لمواجهة عدو مثل اسبانيا وقد صيغت في هذا المؤتمر عدة قرارات وأسس للكفاح المسلح وتم انتخاب الشريف أحمد الريسوني قائدا لحركة المقاومة الجبالية كما تم انتخاب المجلس الشوري للثورة وممثلوه من كبار الشيوخ[1].

ويتضح هنا أن المقاومة الجبالية قامت على أسس تنظيمية ثابتة وأن الشريف الريسوني كان يدرك بأنه سيواجه قوات منظمة ومجهزة بأحدث الأسلحة والمعدات ومدربة على الأساليب الحديثة والنظامية. كما أن التجمع الشعبي حوله يدل على وعيه بأهداف الاحتلال على شمال المغرب.

وخلال عام 1913م وقعت معارك متعددة بين الجانبين كان أشهرها معركة اللوزتين قرب تطوان في 10 جوان 1913م وكانت هذه المعركة بداية المقاومة، وفي 1914م كانت المعارك قد عمت جميع المناطق والسكان وأشهرها معركة "بني سالم" و معركة "الصياد" ومعركة "قاع أسراس" وكان النصر فيها حليف القوات الجبالية التي اتبعت أسلوب حرب الكمائن وأيضا استدراج قوات الجيوش الاسبانية إلى معاقلها في الجبال ثم الانقضاض عليها

[1] - الأمير: مصدر سابق ، ص.70؛ أنظر مرتن: مرجع سابق، ص. 46.

دون خسائر في الأرواح، مع القبض على أكبر عدد من الأسرى التي يتم استبدالها بالمال لتمويل حركة المقاومة[1].

ومع نهاية عام 1914م وبداية الحرب العالمية الأولى انتقلت اسبانيا في احتلالها لشمال المغرب والتي كانت تقف موقف حيادي من هذه الحرب من العمل العسكري إلى العمل السياسي السلمي باستمالة بعض الشخصيات القيادية في حركة المقاومة واستغلال الانقساما ت القبلية الداخلية وهذا لتسهيل مهمة الاحتلال دون تكاليف كما أن الشريف أحمد الريسوني استغل هذه الظروف في العمل إلى إعادة تنظيم حركة المقاومة بعد أكثر من عام ونصف من الكفاح الوطني[2].

لقد تأكد لاسبانيا بأن الشريف أحمد الريسوني يتمتع بتأييد شعبي كبير وأن حركة المقاومة وراء قيادته، ونتيجة لسياسة الاحتلال التي تتبعها بادرت في فتح باب للمفاوضات مع الريسوني طلبا في هدنة، وبعد التفاوض توصلوا إلى عقد هدنة في 13 سبتمبر 1915م حيث تضمنت ثلاثين بندا ومن بين شروطها أن الهدنة ستدوم طوال الحرب العالمية الأولى [3] كما توصل المفاوض السامي "خردانة" مع الريسوني إلى تعيينه عاهلا باسم المخزن على القبائل التابعة له، وقد استعاد الاسبانيون بعض المناطق الهامة وزيادة التوسعات مما جعل القبائل تنفصل عن الريسوني للسياسة التي يتبعها مع الاسبان[4].

ومع نهاية الحرب العالمية عادت اسبانيا إلى سياستها العسكرية في بسط نفوذها على شمال المغرب وبداية زحفها على إقليم الجبالة والذي كانت فيه حركة المقاومة مهيأة ومستعدة، وهنا وضع حد لاتفاقية الهدنة، وفي ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش عقد الشريف الريسوني في 02 ديسمبر 1918م مؤتمر حضره جميع رؤساء القبائل وخرجوا بقرار مواصلة

---

[1] - الأمير: مصدر سابق ، ص.72.
[2] - نفسه، ص.73.
[3] - نفسه، ص. 75.
[4] - مرتين: مرجع سابق، ص. 48.

الجهاد وتحرير البلاد إلى آخر رجل في الوقت الذي برزت فيه شخصية الخطابي في الجهة الريفية ووجد فيه شعبه القائد الذي كانوا يحتاجون إليه من أجل الدفاع عن وطنهم[1].

[1] ـ الأمير: مصدر سابق ، ص. 82.

الفصل الأول

موقع الريف وظهور محمد ابن عبد الكريم الخطابي

التعريف الجغرافي للريف:

يقع الريف في الجهة الشرقية من القسم الشمالي للمغرب [1] إلا أنه غير متفق على حدوده بدقة في مختلف المصادر، غير أن التعريف الجغرافي الأقرب هو ذلك الشريط الساحلي المطل على البحر الأبيض المتوسط والممتد من هضاب نهر ملوية شرقا إلى غمارة غربا ومشرفا على تازة وسهول مسون جنوبا[2]. لكن منذ فترة عبد الكريم اتسع مصطلح الريف وأصبح يطلق على جميع المنطقة الواقعة شمال المغرب (إقليمي الريف والجبالة) [3] كما نستطيع القول بأن حدود الريف تتحرك مع مقاومة ابن عبد الكريم الخطابي للقوات الاستعمارية.

وهو ليس الريف الذي يعرف بخصوبة أراضيه وكثرة مزروعاته بل هو عبارة عن مجموعة من الجبال تعرف بسلسلة جبال الريف تمتد من الشرق إلى المغرب أو من مصب نهر ملوية إلى غاية طنجة مسافة 360 كلم تقريبا وهي على شكل هلال حيث عرضها في الوسط لا يتعدى 80كلم ويتناقص تدريجيا إلى غاية طرفيها وأعلى قمة هي قمة "تيديغين" يصل ارتفاعها إلى 2425 متر، وهذه الجبال تعتبر كحصن منيع يصعب النفاذ إليه سواء من الشمال الذي تنتشر الشواطئ الصخرية والتي نجد فيها الجبال تنحدر مباشرة في البحر ويتجاوز ارتفاعها مئات الأمتار، وهذا ما يجعلها قليلة الموانئ، أما الجهات الأخرى الشرقية والغربية والجنوبية فإن الدخول منها يبدوا سهلا إلا أنه لا نستطيع التوغل والمخاطرة لكثرة أوديتها ومرتفعاتها ووعورة مسالكها[4] حيث يقول صاحب كتاب "الظل والريف في محاربة الريف": "وفي الريف أودية ذات ماء منهمر وتحمل زمان الشتاء فلا يعبرها إلا العارف بمشاريعها وهي كثير تغور

([1]) - يتألف القسم الشمالي للمغرب من إقليمين هما الريف والجبالة "ومنطقة الجبالة تقع إلى الغرب من الريف والى الجنوب من طنجة وتمتاز بقلة تضاريسها المعقدة وسهولة المواصلات فيها إلى حد ما، فتمتد بين شواطئ غمارة وضواحي تطوان وشمالي شفشاون إلى شاطئ المحيط الأطلسي بين العرايش والقصر الكبير" أنظر الأمير: مصدر سابق، ص. 19.

[2] - أنظر الأمير: نفسه، ص. 18 ؛ سلمان إسماعيل: **من قبيلة إلى أمة ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي**، دار التوحيد ، (د.م.ن)، (د.ت.ط)، ص. 15،16.

[3] - شارل أندري جوليان وآخرون: **الخطابي وجمهورية الريف** ، دار ابن رشد، بيروت، 1980، تعريب صالح بشير، ص.15؛ جرمان عياش: **دراسات في تاريخ المغرب**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1986، ص.189، أنظر شمال المغرب في (الملحق رقم 01)

[4] - حسان عوض: **"الجبال المغربية"**، مجلة البحث العلمي، العدد 17، ماي 1971، المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط، ص.53؛ جوليان: نفسه، ص.16.

وتفور على قدر ما تجره الطبيعة" [1] لأن انفصال الجبال وانقسامها يؤدي إلى تشكيل انحدارات وعرة وكثيرة.

وهذه الجبال غزيرة الأمطار إلا أن الجهات الغربية أغزر مطرا من الجهات الشرقية حيث كمية المطر تقل من الغرب إلى الشرق ففي طنجة كمية المطر السنوي 887 ميليمتر أما الحسيمة 350 ميليمتر، وهذا ما ينعكس على الغطاء النباتي فنلاحظ أن الجهات الغربية أوفر نباتا من الجهات الشرقية فتنتشر فيها أشجار الفلين والبلوط والصنوبر كما تعتبر منطقة زراعية وفي الجهات الشرقية تتدهور الغابة وهذا تحت تأثير الإنسان من جهة وللجفاف من جهة أخرى[2] "حيث تشبه الصحراء لا ماء فيها ولا شجر إلا حيث توجد التجمعات السكانية في شبه الواحات"[3].

وهذه الجبال آهلة بالسكان حيث عمرتها منذ القدم قبائل بربرية وهي غمارة صنهاجة وزناتة إضافية إلى وفود مهاجرين آخرين فيما بعد، كما أن هذه الجبال تقع في عزلة عن بقية البلاد وهي غنية بالثروات المعدنية. وبما أن السهول قليلة جدا في الجهة الشرقية والأراضي الزراعية لا تمثل إلا جزءا بسيطا من الجبال فقد استغلها الإنسان ليقيم عليها بيته وحقله، وتعتبر الفلاحة هي المهنة الغالبة والمنتشرة بين أهل الريف، فقاموا بزراعة السفوح بواسطة المدرجات وسقايتها من الأودية حيث هذه الأرض التي تعرف بالأراضي السقوية لا تمثل إلا جزء بسيط من الأراضي الصالحة وتعتبر منتجاتها الخضروات والذرة والأشجار المثمرة أكثر أهمية في اقتصاد المنطقة لأنها مضمونة في الصيف والشتاء حيث تسقى بماء الأودية والبحيرات التي تتجمع وبالتالي عنصر الحياة يكون متوفر وبشكل منتظم ونجدها تتركز حول واد النكور وواد أمقران وواد كرت وغيرها... وفي المقابل نجد الأراضي غير السقوية وهي الأراضي الدائمة والأكثر اتساعا ونجده في الجهة الغربية وتنتشر فيها زراعة الشعير والقمح [4]، وأهل الريف

---

[1] - أحمد سكيرج الخزرجي الأنصاري: **الظل الوريف في محاربة الريف**، (د.د.ن)، الجديدة، المغرب، 1926، إعداد محمد الراضي كنون الحسني الإدريسي، ص.04.

[2] - حسان عوض: مرجع سابق، ص.ص 54- 55.

[3] - محمد سلام أمزيان: **عبد الكريم الخطابي وحرب الريف**، مطبعة المدني، القاهرة، 1971، ص.09.

[4] - جوليان: مرجع سابق، ص ص. 16-19؛ حسان عوض: نفسه، ص. 56.

عامة يهتمون بغرس أنواع أشجار الفواكه ويعتنون بها وعلى رأسها التين واللوز والجوز والكركاع والتي تزرع في كل مكان من أرض الريف[1].

---

(1) - سكيرج: مصدر سابق، ص.04.

البيئة التي ترعرع فيها عبد الكريم:

لقد ترعرع عبد الكريم في بيئة كانت فيها القبائل تتخبط في حالة مزرية من التنابذ والتنافر، إضافة إلى البؤس والفقر وغياب الزاد والمؤونة مما جعل بعضهم يخدمون الإسبان ويتسابقون ويتنافسون إليهم لنيل الجاه والحظ الأوفر من المال [1]، كما كبر في فترة كانت البلاد تعيش في فوضى كبيرة فالسكان يطلبون الحماية الأجنبية هروبا من جور الحكومة الشريفة وليحاكموا في قضاياهم في محاكم قنصلية، إضافة إلى كثرة الديون وغياب المسؤولية واستفحال الأطماع الأجنبية وتقوت ضغوطها من جهة وتكالب الدول الاستعمارية الأوربية من جهة أخرى لبسط نفوذها في المغرب. وفي نفس الوقت كان الشعب في حاجة لمن يوقظه من غفلته ويجمع شمله ويقوده لتحقيق حريته.

إن القبائل التي تقطن الريف [2] هي قبائل بربرية وعددها 18 قبيلة على رأسها قبيلة بني ورياغل التي تعتبر القلب النابض والعقل المدبر في الريف والتي يتجمع حولها بقية القبائل وتنقسم بدورها إلى خمسة أخماس وهم أيت خطاب أو أيت يوسف وعلي وهي أصل محمد ابن عبد الكريم الخطابي، والمرابطون وبنو عبد الله وبنو بو عياش ثم ايت حذيفة، وقبائل الريف ساحلية وداخلية فالتي تقع شرق قبيلة بني ورغال هي قبيلة تمتمان أو تمسمان وبنو سعيد وكلعية وكبدانة وبنو تزين وكزناية والمطالسة وبنو وليشك وبنو بو يحي، ومن الجانب الغربي للقبيلة نجد بقيوة وبنو يطفت وبنو بو فرح ومسطاسة ومتيوة الريف وبنو عمارت وطركيست وبنو كميل وعدد السكان في الريف يناهز ثلاثمائة ألف تقريبا حسب تصريحات وزير خارجية الأمير محمد ابن عبد الكريم السيد محمد أزرقان [3].

وقبائل الريف يتميزون بشعورهم الصفراء أو المائلة إلى الاحمرار والعيون الزرقاء والوجوه النمشاء ونجد هذه الصفات تنتشر في غالبيتهم واللغة المنتشرة هي الامازيغية حيث يتكلمون فيما بينهم بلغتهم (البربرية أو الشلحية)كما أن فيهم من يتكلمون اللغة العربية الدارجة

---

(1) - اللوه: مصدر سابق، ص.ص 251، 252.
(2) - لم نأخذ مصطلح الريف باتساعه لأننا لم ندخل قبائل غمارة وجبالة.
(3) - سكيرج: ، مصدر سابق، ص. 3.

أو العامية مثل قبائل بويطفت وبنو بوفرح ومتيوة الريف ومسطاسة وبنو كميل كما يوجد فيهم من يتكلمون اللغة العربية الفصحى ويكتبون بها وهم البعض القليل فقط . أمثال محمد بن عبد الكريم وأخوه[1].

أما الشيء الذي يميزهم خلافا عن هذا هو صلابتهم وقوة شخصيتهم وبأسهم وعزة نفسهم التي تربوا عليها ، وهذا ما يؤدي إلى التناحر والتقاتل في ما بينهم لأتفه الأسباب والأخذ بالثأر الذي يعتبرونه دفاعا عن الشرف والنفس وأنه حق وهذا ما جعلهم يعيشون في تنافر وتنابذ وكل قبيلة تفتخر بنفسها على أنها الأحسن والأفضل والأقوى. ورغم وجود رؤساء القبائل وشيوخها الذين يقيمون بالإصلاح فيما بينهم ويديرون شؤون القبيلة ويتدخلون في حل المشاكل، إلا أنهم كانوا يرشدون ويوجهون فقط ولم يكن ذلك إلزاميا وإجباري بالنسبة للرعية وبما أن كل فرد لا يقبل الرضوخ لغيره ولا ملجأ إليه إلا للبندقية ليدافع عن حقه ونفسه وشرفه، فكانت البندقية لها مكانة كبيرة عند كل فرد من أفراد الريف بل يتنافسون في امتلاكها، فقد كانوا يمتلكون أجود البنادق وأول ما يتبادر إلى الذهن إذا توفر شيء من المال هو شراء الأسلحة وذخيرتها، وفي غالب الأحيان كان الرجل يبيع اعز شيء عنده ليشتري بثمنه بندقية جيدة مع ذخيرتها ويعتني بها ويتزين بها أكثر من أي شيء أخر كالملابس والأكل، وكانت البنادق تأتيهم من اسبانيا وفرنسا وايطاليا وألمانيا وانجلترا عن طريق التهريب لأنهم يعيشون في عزلة ورغم هذا فإنهم يتسللون إلى الجزائر وإلى أوروبا عن طريق مليلة وسبتة وطنجة. وأصبح تهريب السلاح مهنة تجارية إلى قبائل الشمال ليمتلكوها وخاصة قبائل الريف[2].

ويعتبر رجال الريف رماة مهرة فهم لا يخطؤون في تسديد طلقاتهم النارية، فيستاؤون عندما تنطلق الرصاصة ولا تصب عدوا، كما إنهم لا يطلقون النار هباء ويعتبرون كل رصاصة يمتلكونها لها مكانة وبالتالي لا تطلق إلا للضرورة وإن أطلقت فيجب أن تصيب الهدف وإن لم تصب الهدف تلحق بصاحبها العار " وجاء في أحد التصاريح لمحمد ابن عبد

(1) - سكيرج: مصدر سابق، ص. 4؛ لاندو، **تاريخ المغرب**، مرجع سابق، ص. 148.
(2) - اللوه: مصدر سابق، ص. ص. 179-182.

الكريم أن كل من يطلق رصاصة ولم تصب عليه أن يؤدي عشرة ريالات ذعيرة، فإن أصابت ولم تقتل يؤدي خمسة ريالات ذعيرة "[1] وهذا يدل على أنهم قناصون مهرة في إصابة عدوهم.

ورغم ما يمتازون به من اعتزاز بقوميتهم ومن عصبية إلا أنهم مسلمون ومؤمنون ويهتمون بالعلم فيعلمون أولادهم اللغة العربية وحفظ القرآن منذ الصغر ويتقيدون بكتاب الله وسنة رسوله ويعملون بأحكامه ونواهيه ويؤدون الشعائر الإسلامية ومحافظين عليها ويطبقون جميع أركان الإسلام من صلاة وزكاة وصيام وحج، إلى جانب الجهاد في سبيل الله ومحاربة الكفار، وحب الوطن وتحريره لنيل الجنة فهم لا تنقصهم الشجاعة ولا يهابون الموت ولا يولون الأدبار يوم الزحف وحين المواجهة والقتال، وهذا ما جعلهم دوما مستعدين للنضال والكفاح ضد الغزاة المستعمرين حماية للوطن ودفاعا عن الدين، إلى أن ظهر من يجمع شملهم ويوحد كلمتهم وينظم شؤون الكفاح والجهاد ضد الغزاة[2].

[1] - محمد بن عمر بن علي العزوزي الجزنائي: **محمد بن عبد الكريم نادرة القرن العشرين في قتال المستعمرين**، دار الأمان، الرباط، 2007، ص.34.
[2] - اللوه: مصدر سابق، ص. 180.

نسبه:

تنسب الأسرة إلى جدهم الثامن خطاب [1]. وهي أسرة عربية عريقة قدم أجدادها من ينبع من أعمال الحجاز منذ القرن الثالث للهجرة واستقروا في الشمال المغربي في إقليم الريف وتميزت هذه الأسرة بالأخلاق والأدب والعلم والوطنية كما كان أعضاؤها يتولون وظائف التدريس والقضاء[2].

المولد والنشأة:

ولد محمد بن عبد الكريم الخطابي وهو البكر لأبيه في ديسمبر سنة 1882م في قبيلة بني ورياغل في قرية أجدير قرب الحسيمة حيث أمضى طفولته بها وحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا، وكان أبوه قاضيا ورجلا فقيها عرف بأخلاقه وشجاعته وعدله واشتهر بالصراحة والصدق، فاهتم به منذ نعومة أظافره، فحرص على تعليمه أمور الدين واللغة العربية والتاريخ ثم رباه على الفروسية والرماية فأنشئ تنشئة جيدة، وأصبح يتبع والده ويشاهده كيف يقضي بين الناس أو يجري محادثات مع الشخصيات كما أصبح ينوب عنه في الاتصال بين رؤساء القبائل للاتفاق معهم في أمور البلاد وحل مشاكلها أو مواجهة الأخطار الخارجية[3].

سافر إلى تطوان مع عائلته لإتمام دراسته عام 1896م والتحق بالمسجد الكبير حيث تتلمذ على يد شيوخه، وبعدها عاد إلى قريته أجدير سنة 1900م، وفي عام 1902م بعث به أبوه إلى فاس ليكمل دراسته بجامعة القرويين على يد عدة شيوخ كبار ومعروفين أمثال الشيخ عبد الصمد بن سيدي التهامي كنون والشيخ بن أحمد بن الخياط الزكاري والشيخ أحمد بن المامون البلعينشي الحسني والشيخ أحمد بن الجيلالي المغاري ومن زملائه الطلبة الذين تتلمذ معهم وتعرف عليهم السلفي شيخ الإسلام سيدي محمد بن العربي العلوي حيث كانا يقيمان مع بعضهما في المدرسة المصباحية بجانب جامعة القرويين وكانا متأثرين برجال الإصلاح في

---

(1) - أمزيان: مرجع سابق، ص. 09.

(2) - أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة: **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب، الجزائر، 2000، ص. 157؛ الأمير: مصدر سابق، على الهامش، ص.88.

(3) - أمزيان: نفسه . ص. 11.

الشرق[1]، وهنا أظهر نشاطه وذكائه وحبه للعلم والدراسة كما أنه كان واعيا للأحداث وعارفا بأمور البلاد والمؤامرات المحيطة بالمغرب. وفي عام 1906م تخرج من جامعة القرويين وعاد إلى أجدير[2].

المناصب التي شغلها:

إن المناصب التي شغلها محمد بن عبد الكريم الخطابي وتقلدها عديدة وكثيرة. فبعد تخرجه من جامعة القرويين ومكوثه في أجدير أخذه أبوه إلى مليلة عام 1907م ولمعرفته الإسبانية وظف كمدرس للأطفال المغاربة فيها، ثم أستاذ في لغة العربية للضباط الإسبان ونظرا لثقافته وإمكانياته اشتغل بعدها كمستشار للشؤون الأهلية 1909 – 1911م، وفي نفس الوقت كان يعمل في جريدة تلجرا ماديل الريف Télégramma Del rif وساهم في إعدادها كما اهتم بالتنظيم العسكري والإداري للإسبان ووقف على أوضاعه وتعرف على حقيقته ووسائله.
وبعدها عمل مستشارا في المحكمة العليا للجنايات من 1911 – 1914م، وفي الأخير شغل منصب قاضي القضاة[3].

لقد شغل محمد بن عبد الكريم عدة مناصب في وقت واحد بالرغ م من أنها حساسة جدا. وهذا راجع إلى جديته وأهليته بها، إضافة إلى أنه لم يكن يطلبها بل كانت تعرض عليه من طرف الإسبان وهذا لجذبه، واستمالة والده لما يملكه من مكانة ونفوذ وكلمة مسموعة في الريف[4].

إن الإسبان علموا أن كل محاولات الإغراء بالمناصب والمال وغيرها لم تزد محمد عبد الكريم وأبوه إلا بعدا عنهم، ووطنية لبلادهم. وبعد المعارضة التي أظهرها الأب للتوسع الإسباني وسياسته المفروضة في بسط نفوذه على الشمال المغربي، قاموا بعزل ابنه وهو يشغل

---

(1) - العزوزي: مرجع سابق، ص. 20.
(2) - عبد الله كنون: **موسوعة مشاهير رجال المغرب**، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1994، ص. 06؛ اللوه: مصدر سابق، ص.248.
(3) - محمد العلمي: **زعيم الريف محمد عبد الكريم الخطابي**، مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء، 1968، ص. 17؛ أمزيان: مرجع سابق، ص.13.
(4) - أمزيان: نفسه، ص.ص 23،24.

منصب قاضي القضاة واعتقاله في سجن "كبالرزا" [1]، في يوم 15 جوان 1915م ونسبت إليه عدة تهم من بينها الإخلال بواجب الوظيفة التي تولاها، والشكوى التي طرحتها فرنسا بخصوص مساندته هو و أبوه للألمان في الحرب العالمية الأولى، وهما مصدر إزعاج للوجود الإسباني والفرنسي في المغرب. ومحاولة من أبيه لإخراجه من السجن بعث بعض رجاله لمساعدته على الهرب إلا أن الحظ لم يحالفه فسقط من نافذة الحجرة فأصيب بعدة جروح وكسرت ساقه ولم يفلح في الهرب، وقام الأطباء الإسبانيين بمعالجته فلم يجدوا حلا إلا بتر ساقه فرفض وعارض، فعالجوه وبقي ممدد على ظهره مدة شهر لتتجبر عظامه فشفي على تلك الحالة وبقي يعرج بها طول حياته[2].

حاول الإسبان إغراءه ومساومته وهو في السجن فلم يفلحوا فبعثوا لوالده ليقنعوه ويقنع هو بدوره ولده بأن يوافق على العودة إلى منصبه السابق قاضي القضاة ويعمل لصالحهم إلا أنه قال بأن الأمر لا يخصه ولا يستطيع التدخل في شؤون ولده. وفي الأخير قام الإسبان بإطلاق سراحه مقابل ترك رهينتين مكانه، فتطوع أبناء عمومته رهينتين وأفرج عنه يوم الجمعة 22 رجب 1334ه الموافق لــ 25 ماي 1916م[3].

لقد كانت فكرة ترك الرهينتين مكان محمد بن عبد الكريم الخطابي لتقييده بحيث لايستطيع إحداث مشاكل لهم خوفا على الرهينتين. ويبقى يتردد دائما على مليلة طالبا الإفراج عنهما.

قضى الفترة الممتدة من 1921 إلى غاية 1926م في الدفاع عن وطنه لنيل حريته إلى أن تم استسلامه إلى القوات الفرنسية في 27 ماي 1926م وهذا ماسيتم ذكره في الفصلين الثالث والرابع.

قامت فرنسا بنفي المجاهد إلى جزيرة لارينيون النائية في المحيط الهادي، وفي تلك الجزيرة عاش الأمير مع أسرته وبعض أتباعه أكثر من عشرين سنة، وفي سنة 1947م قررت

---

[1] - خير الدين الزركلي: **الأعلام**، دار الملايين، بيروت، 1992، قاموس تراجم، ط10، ج6، ص.ص 216،217.

[2] - سكيرج: مصدر سابق، ص. 17؛ محمد عبد المنعم إبراهيم المحامي، محمد عبد الوارث الصوفي: **الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الشمال الإفريقي**، المكتبة العلمية ومطبعتها، القاهرة، 1958. ص. ص. 32، 33.

[3] - أمزيان: مرجع سابق، ص. 71.

فرنسا نقله إليها على متن باخرة، وعندما دخلت الباخرة التي كانت تقله إلى قناة السويس ورست في ميناء بور سعيد تمكن بعض شبان المغرب المقيمين في مصر من زيارته على متن السفينة، ثم التجأ إلى مصر ليواصل مسيرة الجهاد من أجل تحرير المغرب، وبدأ عهد جديد من النضال الوطني من أجل تحرير بلاده فأسس مع أبناء المغرب العربي لجنة أطلقوا عليها "لجنة تحرير المغرب العربي" تولى هو رئاستها في 09 سبتمبر 1947م[1].

ظل الأمير مقيما في القاهرة يتابع نشاط المجاهدين من أبناء المغرب العربي المقيمين في القاهرة ويمدهم بنصائحه وإرشاداته حتى توفي في 06 فيفري 1963م في مدينة القاهرة[2].

ولقد ألهبت شخصيته قريحة عدد من الشعراء فنظم في حقه الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان شعرا بعنوان "نشيد بطل الريف" جاء فيه

في ثنايا العجاج والتحام السيوف
بينما الليل داج والمنايا تطوف
يتهادى نسيم فيه أزكى سلام
نحو عبد الكريم الأمير الهمام
ريفنا كالعرين نحن فيه الأسود ريفنا نحميه
كـــلنا يعجب بفتى المغرب
كـــلنا يطرب لانتصار الأبي
أين جيش العدا إن دعا للجهاد
أصبحوا أعبدا بالسيوف الحداد
ريـــفنا غابنا نحن فيه الأسود ريفنا نحميه
طالما استعبدوا وأذلوا الرقاب
أيها الأيـــدي جاء يوم الحساب

[1] - المستشار عبد الله العقيل: **من أعلام الدعوة والحركة الاسلامية المعاصرة**، دار البشير، (د.م.ن)، 2007، ج$_1$، ص.508.

[2] - محمد بن موسى الشريف: **عظماء منسيون في التاريخ الحديث**، دار الأندلس الخضراء، (د.م.ن)، 2010. ص. 81؛ عبد السلام بن عبد القادر بن سودة: **موسوعة أعلام المغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996،.تحقيق محمد مجي، ج$_9$ ، ص.3373.

فليذوقوا الزعافا بالظبي والأسل

ولنعل الهتاف للأمير البطل

ريفنا كالعرين نحن فيه الأسود ريفنا نحميه[1].

ومن بعض أقوال الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي خلال الحرب الريفية التي تعبر عن أفكاره وآرائه وسياسته وأهدافه نذكر:

- ليس في قضية الحرية حل وسط.
- لا أرى في هذا الوجود إلا الحرية، وكل ما سواها باطل.
- لا أدري بأي منطق يستنكرون استعباد الفرد، ويستسيغون استعباد الشعوب.
- الحرية حق مشاع لبني الإنسان وغاصبها مجرم.
- نحن في عصر يضيع فيه الحق إذا لم تستنده قوة.
- تكلم بهدوء واضرب بشدة.
- الحرب ضد الاستعمار وسيلة لتقارب الشعوب.
- الاستعمار يموت بتحطيم أسواقه الاقتصادية، ويدفن بسلاح المجاهدين.
- عدم الإحساس بالمسؤولية هو السبب في الفشل. فكل واحد ينتظر أن يبدأ غيره.
- الكفاح الحقيقي هو الذي ينبثق من وجدان الشعب. لأنه لا يتوقف حتى النصر.
- الاستعمار وهم وخيال يتلاشى أمام عزيمة الرجال، لا أشباه الرجال.
- الاستعمار ملة واحدة.
- من لم يحمل السلاح يدافع به عن نفسه، حمله ليدافع به عن غيره.
- إذا كانت لنا غاية في هذه الدنيا فهي أن يعيش كافة البشر، مهما كانت عقائدهم وأديانهم وأجناسهم، في سلام وأخوة.
- ليس هناك نجاح أو فشل، انتصار أو هزيمة، بل شيء اسمه الواجب. وأنا قمت به قدر استطاعتي[2].

[1] - محمد قنانش، محفوظ قداش: **نجم الشمال الإفريقي 1926-1937**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002.ص 34.

[2] - الأمير: مصدر سابق، على الغلاف. أمزيان: مرجع سابق، ص.ص. 296- 311.

ما تميز به منذ صغره:

"حينما كان صغيرا لم يكن يميل إلى اللعب واللهو كأترابه من أبناء قريته وبيئته، وإنما كان يهتم بأشياء تبدو فوق مستوى عمره بكثير كركوب الخيل حتى المهارة، والرماية حتى الإجادة، وبناء الخنادق حتى الإتقان، وتنسيق خطوط النار حتى الدقة باعتراف رجال الحرب من أبناء قومه الذين مارسوا القتال منذ عشرات السنين، بالإضافة إلى أنه لم يثبت في يوم من الأيام أنه دخل في خلاف ينشأ بين قومه فيتعصب لجبهة ضد أخرى وإنما كان منذ نعومة أظافره حمامة سلام ووساطة خير وإصلاح، نأى بنفسه عن التلوث بالدماء والعنصرية والتعصب. وإذا بحثنا مراحل تعليمه ودراسته نجد أنه كان مجدا ومجتهدا في القراءة والمطالعة والدرس بالاستقصاء والبحث. فكان نتيجة لذلك ينال عطف شيوخه وتقديرهم وعنايتهم به. أما عن الصداقة والتعارف فقد سلك فيهما مسلك الرجل العاقل المستقيم الذكي، واتخذ بطانة وهي وإن كانت قليلة إلا أنها استوعبت رجالات الريف وأعيانه" [(1)] وهذا ما جعله يكون في المقام الذي هو فيه والعبقرية والحكمة التي تميز بها.

صفاته:

لقد تميز محمد ابن عبد الكريم الخطابي بقامة قصيرة،وقوة بدنية، ووجه مستدير مليء ولطيف، وعينان سوداوان بنظرات حادة، وشعر أسود ولحية قصيرة، ويدين ممتلئتين، وبصوته الخفيف، وكان قليل الكلام كثير العمل دائم النشاط تظهر إرادته القوية وتنظيمه المحكم، والناظر إليه يرى في وجهه صفات تدل على الرأفة و اللين، ويلبس اللباس المغربي من جلباب وعمامة وكثيرا ما يتزين باللباس الإفرنجي ويضع النظارات على عينيه[(2)].

---

(1) - أمزيان: مرجع سابق ، ص. 17.

(2) - أنظر العزوزي: مرجع سابق، ص. 33؛ رشدي الصالح ملحس: **سيرة محمد بن عبد الكريم الخطابي**، المطبعة السلفية، القاهرة، 1925، ص. 27.

-Charles Andre Julien **Le Maroc face Aux Imperialismes 1415-1956.** Edition j. a. Paris. 1978. P 122.

أنظر صورة الأمير المرفقة في (الملحق رقم 02)

تسلمه القيادة:

بعدما أطلق سراح محمد بن عبد الكريم الخطابي من السجن في مليلة بقي شهرين في أجدير ثم عاد إلى مليلة فصادف هذا زيارة المقيم العام "خردانة" فاجتمع به هو وأخوه محمد [1] الذي أتاه من مدريد، وأخبره عن مدى أسفه على ما حدث له وأبلغه بأنه سيبقى في مقامه وهو قاضي القضاة مقدرا محترما وأما أخاه فعين له من يقفون معه حتى يكمل دراسته في مدريد. كما طلب منه أن يكتب لوالده السيد عبد الكريم ليقوم بزيارته في تطوان لأمور خاصة. ففعل محمد بن عبد الكريم وكتب لوالده الذي ذهب إلى تطوان وتفاوض مع المقيم العام ثم رجع إلى أجدير وأقام بها يجامل بها الاسبان ويستعمل سياسة اللين والرفق هو وأولاده في انتظار الأسباب الحاسمة لقطع الصلة نهائيا.

وفي مرة اجتمع السيد عبد الكريم مع القبطان "لوبيرا" في حزيرة "النكور" [2] بخصوص المعاملة والطريقة التي يعامل بها الاسبان أهل الريف من قسوة وعنف وبعد الكلام كان رد هذا القبطان بأنه يعرف المسلمين وطريقة معاملتهم وأنه سيربيه على ما بدر منه فرد السيد عبد الكريم بقوله سيرى من يربي الآخر وخرج وعاد إلى أجدير وأرسل إلى ولديه ليحضرا إليه وكان هذا التصرف هو القطرة التي أفاضة الكأس وجعلته يتحرك لتنظيم الثورة ضد الاحتلال الاسباني فأتى ابنه محمد الصغير من مدريد أما محمد فقد بطأ قدومه وفاة المقيم العام "خردانة" لأنه لم يستطع الحصول على رخصة تسمح له بزيارة أبيه، وعند اجتماع الولدين مع أبيهما شرح لهما السبب، والإهانة والتهديد التي تلقاها من قبل القبطان "لوبيرا". فتعاهدوا على الجهاد مع إخوانهم المسلمين ووضعوا اجتماع مع أعيان قبيلة بني ورياغل من بينهم " الشريف الفقيه

---

(1) -" ينطق بفتح الميم وهو أصغر من أخيه، تعلم في بلده اللغة العربية، وحفظ القرآن وهو صغير ثم بعث به والده إلى مدينة (مالقة) في الأراضي الإسبانية على شاطئ البحر المتوسط ،وبعدها إلى مدريد العاصمة الإسبانية، ليتابع دراسته في هندسة المعادن" أنظر العزوزي: مرجع سابق، ص.105.

(2) - "يدعوها سكان المنطقة بـ (النشور) كما يدعوها الإسبانيون (لوسيماص) وهي أشبه بباخرة عملاقة راسية وسط البحر وواقعة في خليج مدينة الحسيمة، وهي من المستعمرات الإسبانية"، نفسه: ص. 89.

السيد محمد بن علي بولحية، والحاج حموش والسيد محمد بن سي شعيب وغيرهم واتفقوا وتعاهدوا على محاربة الاسبان وقطع الصلة معهم ومدافعتهم على الريف وتحريره[1].

في هذه الفترة عين الجنرال سلفستري على مليلة وأسند أمر الريف إليه فكان يستعجل في اختلال المناطق الواقعة في الجهة الشرقية من قبيلة بني ورياغل حيث تقدم في احتلال عدة مناطق في زمن قصير لا يمكن احتلالها ممن حكموا قبله من 1909 إلى غاية 1920م حيث زحف على جزء من بني توزين وبني ويشك وبني سعيد وجزء من تمسمان يعرف "بأنوال" ووضع عليها جميعها الحراسة والعسة[2].

أنذر السيد عبد الكريم الخطابي القوات الاسبانية على تقدمها بالقوت، وزحفها على أجزاء من الريف لكن إنذاره لم يجد جوابا بل زادوا في قواتهم العسكرية لمواجهته وإكمال زحفهم حتى الوصول إلى قبيلته والسيطرة عليها. فأخذ السيد عبد الكريم في التعبئة الدينية والوطنية بين الأهالي وإفهامهم حقيقة الأطماع الاسبانية، وضرورة الوقوف ضدهم وأسس مركزا للمجاهدين في موضع يسمى "وذيع" الذي له موقع استراتيجي مهم فهو مقابل للمركز الاسباني في تفرسيت الذي كان يحرس تفرع للسكة الحديدية، ورابط السيد عبد الكريم الخطابي وهو على رأس مجموعة من المجاهدين في الأمكنة التي يتقدم منها الاسبان[3].

أدت مواجهة الزحف الاسباني في استشهاد عدد من القادة المجاهدين الذين كان لهم دور فعال في مواجهة الاسبان منهم الشريف سيدي محمد أمزيان الكلعي والسيد الحاج محمد المطالسي كما توفي أيضا السيد عبد الكريم الخطابي لكن مغدورا ومسموما على يد أحد رجال قبيلة تفرسيت، حيث وهو يقوم بالتجوال بين القبائل للتوعية وجمع الشمل وإيضاح الأطماع الاسبانية ونيتها في احتلال بلدهم، استضافه السيد عبد السلام التفرسيتي نسبة إلى قبيلته و أطعمه السم تنفيذا لأوامر تلقاها من الاسبانيين الذين زادوا في الحقد عليه للأعمال التي يقوم بها

[1] - سكيرج: مصدر سابق، ص.ص 17،18.
[2] - نفسه، ص. 19.
[3] - الأمير: مصدر سابق، ص.ص 90،91.

ضدهم[1]. "فتوفي من أكلته بعد ملازمته للفراش بأجدير اثنين وعشرين يوما عن عمر يناهز 63 سنة في يوم السبت 21 ذو القعدة 1339"[2].

بعد وفاة السيد عبد الكريم الخطابي اتفق زعماء قبيلة بني ورياغل على تولية ابنه الأكبر محمد رئيسا على القبيلة ومع بداية توليه استمر في عملية التوعية بين القبائل والقيام بإصلاحات لجمع الشمل كما استمر في مهمة تنظيم عمليات المواجهة ضد المحتل وقد بدأ بقبيلته "لأن من بين كل قبائل الريف كانت قبيلة بني ورياغل الأكثر عددا والأقوى والأكثر دموية" [3] فعقد بها مؤتمر عرف بمؤتمر إمزرون في 20 سبتمبر 1920م[4]. وقد حضره أعيان القبيلة وألقى الخطابي خطبته ذكر فيها المآسي التي وصلوا إليها والأوضاع المزرية التي يعيشونها وما حدث لأجدادهم في الأندلس وهذا كله على يد الاسبان. إلى جانب حثهم على الاتحاد والتعاون وتنظيم الصفوف للدفاع عن حريتهم. ولا يتم ذلك إلا إذا تم التآخي فيما بينهم والتناسي عن الأحقاد ونبذ شريعة الثار التي جعلت حياتهم تتخبط في فوضى وتركت فرصة للمستعمر لاحتلال بلادهم وفي هذا المؤتمر أبدى الجميع تأييدهم له ورغبتهم في الكفاح والجهاد ضد الاسبان كما تسامح ذوي الثار فيما بينهم في سبيل الهدف الأول وهو تحرير البلاد من يد المستعمر. وقد عقد محمد بن عبد الكريم هذا المؤتمر ليضمن له التأييد الصريح ويصبح شاهدا على جمع الشمل وتوحيد الكلمة كما تم الاتفاق على تغيير مركز المقاومة من مركزه "وذيع " إلى موضع يدعى "القامة" في قبيلة تمسمان[5].

بعدما عين السيد محمد بن عبد الكريم الخطابي رئيسا على قبيلة بني ورياغل بات يعلم أن الأوضاع السائدة بين قبائل الريف من تنافر وتباعد لا تسمح له بمواجهة العدو. فعمل على جمع الكلمة والشمل للتصدي والجهاد، فبدأ من خريف عام 1920م واستمر إلى غاية منتصف

---

(1) - العزوزي: مرجع سابق، ص. 31.
(2) - سكيرج:مصدر سابق، ص. 19.
(3) - جوليان وآخرون: مرجع سابق، ص. 30.
(4) - علي الإدريسي: **عبد الكريم الخطابي التاريخ المحاصر**، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007، ص. 43.
(5) - الأمير: مصدر سابق، ص.ص 96،97.

1921م. عن طريق التنقل بين القبائل [1] وإلقاء الخطب وحثهم فيها على نبذ العنف وتناسي الأحقاد والتكتل وتوحيد الصف لمواجهة المحتل، وكان يستند في خطاباته ومحاضراته في بث الروح الوطنية إلى كتاب الله وسنة رسوله ويذكرهم بأعمال الاسبان في البلاد وما قدموا لأجله مستعرضا الجوانب المصيرية من الاحتلال وقد تميز ببلاغته في إلقاء الخطب إلى جانب ثقافته ومعرفته بطبيعة الاستعمار وأهدافه، الذي كان له أثره في الإقناع وفي التأثير في النفوس وبث الحماس وجلب أصحاب الضمائر الحية، وبالرغم من وجود من كانوا يتهمونه بأنه يعمل لدى الاسبان لنيل المكانة المرموقة عندهم فانه كان يقابلهم بكل هدوء وطمأنينة ويجيبهم بقوله "أيها الإخوان ما مضى فات ونحن اليوم مهددون من الاسبان أعداءنا الألداء الذين عزموا على احتلال بلادنا واستبعادنا وهتك حرمتنا، ثم تنصيرنا وتجريدنا من الدين الإسلامي الحنيف فعلينا أن نتعض بالأندلس الشهيدة وأن نعتبر تلك المأساة التي لا ينساها التاريخ على مدى الأجيال لنقوم بكل جد وإخلاص فننسى الضغائن والأحقاد ونوحد صفنا لنتصدى إلى كفاح المعتدين ومقارعتهم دفاعا عن ديننا وشرفنا ووطننا[2].

إن تغلغل محمد بن عبد الكريم في قلوب شعبه راجع إلى حكمته التي يتميز بها وإلى ذكائه وشجاعته وعلمه وتواضعه ووطنيته وأخلاقه ونزاهته وشهامته، وكان يستغل الظروف الملائمة للنصيحة فيستمد أفكاره من الواقع ويقدمها بأسلوب مبسط فعند وفاة والده كانت وفود من قبائل الريف تعزيه وإذ بأحد أبناء عمومته يحثه على الانتقام والثار لأبيه فكان رده بأن يتركوا القاتل وشأنه وأن يوجهوا أنظارهم إلى الذين يريدون أن يقتلوا الشعب ويسلبوه أرضه وحريته ودينه وهو يحثهم على نبذ الثار وإكمال الرسالة الوطنية والثورية التي بدأها أبوه لأنه لم يترك له مهمة الثأر لنفسه وإنما ترك له الرسالة الوطنية يحيا لها ويقاتل من أجلها وأن الاسبان لم يأتوا إلا للانتقام على أحزانهم القديمة لا لينهضوا بالبلاد كما يدعون[3]

---

[1] - C. R. Pennell.Law.order.and the formation of an Islamic Resitance of European Colonialism. The Rif 1921-1926.Revue.D'histoire Maghrebine. Numéros 21-22. Avril. 1981. P.29

[2] - اللوه: مصدر سابق، ص. 257.

[3] - أمزيان: مرجع سابق، ص86.

ومرة كان في ساحة التدريب فأوقف عشرين منهم في صفين متقابلين وأمرهم بالاستعداد وإطلاق النار عند سماع الإشارة، ثم التفت إلى البقية وكانت الدهشة تأخذهم من هذا التصرف وسألهم ماذا سيحدث لو أمرتهم بإطلاق النار فأجابوه بأن مصيرهم الموت فسألهم من يتولى نسائهم وأولادهم فأجابوا لا أحد، وهنا استغل الفرصة ليتكلم عن الثأر وبين بأن هذه العادة سوف تبيدهم وتخرب بيوتهم وتفتح الطريق لعدوهم لينهكوا أعراضهم ويسلبوا أرزاقهم[1].

إن الأعمال التي قام بها الخطابي كانت تتطلب سنوات لكن بحكمته وإرادته عالجها في بضعة شهور فقط فكانت كلماته بمثابة غسيل ينظفون به نفوسهم من أخطاء الماضي فينقلبون إلى قوم متحابين متعاطفين يتبادلون الثقة والحديث في مختلف الشؤون وكأنهم أفراد أسرة واحدة يتفاهمون ويتفقون ، متحدين على دفع الخطر الخارجي مؤمنين بأن الله ناصرهم مادامو ا على حق.

لقد تجلت بطولة محمد ابن عبد الكريم ونبوغه النادر في إخضاع شعب لم يخضع لأي أحد من قبله، فوحد كلمته وجمع شمله وحوله إلى جيش منظم يطيع أوامره ويسير وراءه إلى مواطن الحروب والقتال[2].

(1) - أمزيان: مرجع سابق ، ص. 92.
(2) - ملحس: مصدر سابق، ص46.

الفصل الثاني

اندلاع الحرب الريفية وتشكيل الجمهورية

بداية المواجهة :

بعدما عمل عبد الكريم على زرع المحبة والأخوة بين القبائل وتحقق التآلف بينهم وتناسو ا أحقادهم ووحدوا صفهم بدأ يحثهم على التضحية والكفاح في سبيل الدين والوطن، وبدأ يأخذ استعداداته بعد التجمعات المتعددة في مركز المقاومة باعتباره هو قائد الجهاد وبدأوا يجمعون المتطوعين حتى بلغوا حوالي مائتين شخص من بني ورياغل ونحو المائة من بعض القبائل، أما البقية من القبائل فلم تعطي أهمية لهذا الاتفاق[1].

وتعتبر الإمكانيات الحربية للخطابي وجماعته منعدمة بالمقارنة مع عدوه إلا أن خبرته العسكرية جعلته يدرب هذه الفئة القليلة على أساليب الحروب الحديثة بمائة وخمسين بندقية فقط وكان يعلم بأن سلاحه هذا لا يكفيه لمقاومة جيش له سلاح حديث، قوي العدة وكثير العدد فكان أمره هو الحصول على الأسلحة والذخيرة بأي طريقة لمواصلة الحرب، وليس نقض السلاح معناه الاستسلام فالمقاتل الحقيقي هو الذي يأخذ سلاحه من عدوه ويقتله به، أما الأمر الراهن فهو التناوب على حمل البنادق المتوفرة في مركز المجاهدين بالقامة، أما البقية فكل واحد يعمل عمله الخاص به سواء في زراعة حقله أو ممارسة تجارته بحثا عن لقمة العيش لأولاده إلى أن يحين دوره، على أن لا ينس واجبه تجاه وطنه. وفي الجهة المقابلة في أنوال [2] كانت القوات الإسبانية بعددها الهائل تحت قيادة سلفستري والتي بلغ عددها في الخط الأول ثمانية عشر ألف جندي والتي كانت تمتلك مختلف الأسلحة وأجودها بما فيها المدافع إضافة إلى الراديو وأجهزة الاتصالات وأسطول تموين على مرفأ سيدي إدريس، تنتظر الإشارة للزحف على ماتبقى من الريف وسحق جماعة عبد الكريم في مركزهم بالقامة والمرور عليهم مر الكرام كما كان يخطط سلفستري باعتباره آخر معقل بقيت فيه المقاومة[3].

(1) - سكيرج: مصدر سابق، ص. 24.

(2) - "تعتبر أنوال موقع حربي يصله مرفأ سيدي إدريس بالبحر شمالا وطريق معبد بتفرسيت جنوبا وبمليلة شرقا وتأتي القامة في غربه بحوالي خمسة عشر كيلومتر"، أنظر أمزيان: مرجع سابق: ص.136.

(3) - نفسه، ص.ص 141،142.

بهذه العدة وهذا العدد لم يعط سلفستري اهتماما لقوات الخطابي المتمركزة بالقامة، فقد كانت خطته أن يحتل تل أبران القريب من مركز المجاهدين وفي لحظة خاطفة تكون قوات الخطابي من الماضي. فأرسل كتيبة مكونة من ثلاثمائة وخمسين جندي ا لتنفيذ المهمة. لكن عند وصولها إلى تل أبران ووضعت حصونها انتشر الخبر عند أبطال الريف فأسرعوا وأحاطوا بها من كل جهة وكانوا لهم بالمرصاد، ففتكوا بهم على أخرهم ولم يتمكن ولا واحد منهم من الهرب واستولى المجاهدون على جميع ما كان فيها من الذخيرة الحربية وهي أربعة مدافع مع ذخيرتها خمسمائة قرطاس إضافة إلى ثلاثمائة وخمسون بندقية ومائة صندوق من الذخيرة بكل صندوق ألف وخمسمائة طلقة[1].

وهكذا فإن الانتصار في تل أبران أهم من كل ما فعله الخطابي، فقد تحقق له انضمام بعض رجال قبائل الريف للقتال في صفوف المجاهدين لطرد العدو الإسباني من البلاد كما تحقق له توفر السلاح من الغنيمة التي غنموها والتي كانت العقبة الأخيرة التي انزاحت من طريق محمد بن عبد الكريم الخطابي للقيام بالحرب التحريرية. وأمر بتوزيع البنادق على المجاهدين كما أمرهم بعد الاجتماع معهم بالتقدم إلى الأمام إلى داخل قبيلة تمسمان إلى قرية "أمزاورو" وقرروا أن يتخذوها مركز للقيادة بدلا من "القامة" باعتباره مقابل لأنوال وقريب من حامياتها[2].

---

[1] - اللوه: مصدر سابق، ص. 261. سكيرج: مصدر سابق، ص. 24؛ علال الفاسي: **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، منشورات علال الفاسي، الرباط، 1993، ص.126.

[2] - الأمير: مصدر سابق، ص. 101.

معركة أنوال :

لقد كان للاسبان حاميات صغيرة لحماية المعسكر الرئيسي أنوال، وعلى رأس تلك الحاميات حامية "إغريبن" وهي تقع على بعد ستة كيلومترات منها. وبعدما شاع خبر هزيمة "أبران" استقبلها سلفستري على أنها مجرد نكسة تافهة وليست بالتي تهزه أو تلفت انتباهه وقد كانت قوات الخطابي أمامه وجها لوجه بعدما تقدمت من "القامة" إلى المركز الجديد "أمزاورو". فما كان لسلفستري إلا أن يصدر تعليماته باحتلال موقع "سيدي إبراهيم" باعتباره أقرب نقطة إلى قاعدة المجاهدين الجديدة، فدار القتال بينهم بقوة إلا أن المجاهدين فتكوا بهم ولم يفلت منهم إلا القليل واستولوا على الموقع وما به من عتاد وجعلوها حامية لهم. ثم اجتمعت القيادة الريفية بزعامة محمد ابن عبد الكريم الخطابي وقرروا احتلال حامية "إغريبن" باعتبارها المركز الذي يعتمد عليه سلفستري لحماية معسكره في أنوال، وهي عبارة عن خط أمامي دفاعي لأنوال ويمول منها يوميا فقرر الخطابي أن تكون هذه الحامية هي النقطة التي تدور حولها المعركة إلى أن يتمكن من تحريرها، باعتبارها مفتاح المعسكر الرئيسي في أنوال بقوله "إن موت العدو وحياته منحصر في هذه المعركة، إما أن يفك الحصار المضروب على القشتلة (حصن أغربيا) ويبلغ لها التموين، وإما أن يموت على آخره"(1).

و باعتبار أن العدو يتفوق على المجاهدين في موقعه الحربي إضافة إلى العدة والعدد قرر الخطابي أن تكون حرب خنادق فأمر بحفر خط من الخنادق، في كل خندق خمسة أفراد ويكون البعد بينهما عشرون مترا على شكل نصف دائرة بشرط أن لا يطلق المجاهدون النار إلا عندما يكون الهدف ظاهرا وقريبا. ولا يغادرون خنادقهم مهما كان الضغط. والهدف من هذا هو قطع الإمدادات عن حامية "إغريبن" لاستنزاف قوات أنوال، وكانت مهمة الجناح الأيمن من الخنادق هو حماية الوسط "القلب" من تدخل نجدات الخط الإسباني الثاني، ومهمة الجناح الأيسر هو حماية القلب من هجمات حامية "إغريبن" أما القلب فهو محور المعركة(2).

(1) - الأمير: مصدر سابق، ص. 102؛ أمزيان: مرجع سابق، ص. 145 ؛ Zakya. OP.CIT.PP 100- 102
(2) - أمزيان: نفسه، ص.ص 145،146.

وضع المجاهدون أحد المدافع التي غنموها في أحد المرتفعات ليضربوا بها حامية "أغريبن" كما قطعوا أسلاك التلفون المتصلة بأنوال ثم لزموا خنادقهم وكان عددهم حوالي 400 مقاتل، ومع شروق الشمس صبيحة الجمعة 15 يوليو 1921 الموافق 09 ذو القعدة 1339 لوحظ قافلة قادمة من معسكر أنوال مؤلف من كتيبتين لتمويل الحامية وكانت هذه الأخيرة تبدي استعدادها لاستقبالها وعند اقتراب القافلة وكانت في النطاق المحدد بالنسبة للمهاجمين أطلقوا عليها نيرانهم وبدأ الجنود الاسبان يتساقطون ولا يعرفون من أين الخطب وبدأت حامية أغريبن تطلق قذائفها في كل اتجاه دون تحديد الهدف. فتتساقط على جنود القافلة فتزيد في هلاكها، ووصل الخبر إلى سلفستري ولعناده وغضبه أرسل قوة هائلة من العساكر للقضاء على هذه القلة فقصفت الخنادق الريفية بشكل عشوائي دون أن تقابل بأية طلقة وعند اقترابهم صدتهم ذخيرة الريفيين كطلقة واحدة فولوا أدبارهم من بقي من الناجيين فارين إلى سلفستري دون أن يتقدموا شبرا إلى "إغريبن" أو يرفعوا عنها الحصار[1].

وفي كل مرة يريد الجيش الاسباني التقدم إلى حامية إغريبن وتخطي عتبة المجاهدين يرجع مخذولا يجر أذيال الهزيمة. وقد أبلي المجاهدون بلاء جيدا من حيث القوة والمواجهة فلم يرهبهم العدو ولا قنابله وتعجب الاسبان بما فيهم سلفستري من قوتهم وثباتهم في القتال والأسلوب الحديث الذي طبقوه في حربهم، وبقي حصار الحامية أربعة أيام بلياليها فلم يتزحزح الريفيون عن مواقعهم ولم يتقدم الاسبان لإغاثة حاميتهم إلا أنه في اليوم الثالث لوحظ تقلص عدد الجنود الاسبان وبث الرعب واليأس في سلفستري فطلب العون والنجدة من المقيم العام في تطوان "برينجر" فرفض مساعدته. فاتصل بالأركان العامة في مدريد ليغيثوه لكن للأسف كانت فوضى عارمة في الشوارع نتيجة الأخبار المأساوية التي صدم بها الشعب بموت أولادهم، فما كان لسلفستري إلا أن يكمل مغامرته التي بدأها، ويدفع بكامل جنوده إلى النصر كما يضن للقضاء على خرافة عبد الكريم وتجسيد تاريخ الجيش الاسباني في أرض الريف وفي اليوم الرابع شهد استشهاد قائد القلب محمد بن أحمد الأجدري وكان قبله في الأيام الأربعة قد استشهد

[1] - أنظر: سكيرج: مصدر سابق، ص. 24؛ اللوه: مصدر سابق، ص. 262؛ أمزيان: مرجع سابق، ص. 147.

عدد من المجاهدين القادة حيث كان الاعتماد عليهم في التقدم للأمام. وحدث لفقدانهم أسف لدى المجاهدين فحضر السيد عبد الكريم الخطابي وصار يطوف بينهم ليلا ويحثهم على الثبات ويبشرهم بأن النصر قريب لأن العدو في حالة مزرية بقوله "أيها الضباط، أيها الجنود لقد قضيتم أربعة أيام في قتال مستمر أبليتم فيها البلاء الحسن، وقتل فيها أشجع قوادكم، فنعزيكم ونعزي أنفسنا ونعزي الشعب، وعلينا أن نعلم جيدا أن معركة يوم غد ستكون أقسى وأشد، فلا شك أن العدو يستعد ليوم غد بما لديه من قوة وعتاد. ولكني أومن أنه سيمنى بهزيمة بفضل شجاعتكم وثباتكم فاصبروا وصابرو لأنكم تدافعون عن الحق، والعدو يقاتل من أجل الظلم ولن ينتصر الظلم"[1]. فبعثت هذه الكلمات في نفوس المجاهدين القوة والصمود وذكرتهم بأنهم يدافعون عن بلدهم وعن حقهم المسلوب ولا ريب فإن الحق سينتصر على الظلم فزادت في ثباتهم وإصرارهم وحثهم عن معركة الغد وما بها من شدة وقوة، لأن عدوهم سيستعمل كل ما لديه لكن إن صبروا فان النصر من نصيبهم وتنكسر شوكة عدوهم وكأنه يعلم ماذا سيحدث وهذا راجع لقدرته وإيمانه بالحق ومعرفته بعدوه.

بعد أن ألقى خطابه على جنوده بعث برسوله إلى قائد حامية "إغريبن" يحثه على الخروج من معقله وله الأمان حقنا للدماء ومحافظة على أرواح من بقي معه من الهلاك ولا مجال له للمقاومة لأن جميع المجاهدين يحاصرونه وواقفون له بالمرصاد وما عليه إلا الاستسلام، وهو يعلم بأنه في حالة يرثى لها فلا ماء ولا زاد يقتاتون منه ولا إمدادات تصلهم لكن هذا الأخير رفض عرض الخطابي وطلب الانتظار إلى الغد ضانا منه أن اسبانيا لن تتخلى عنه وسترسل له من يفرج عنه ويفك حصاره[2]

وكان الهدف من إرسال الرسول هو الاطلاع على حقيقة الأمر داخل الحامية في إغريبن فوجدها كما توقع حيث الجنود في حالة مزرية لا ماء ولا مؤونة إلا القليل بعدما طالت مدة الحصار[3].

(1) - أمزيان: مرجع سابق، ص.ص 148،149.
(2) - سكيرج: مصدر سابق، ص. 25.
(3) - أمزيان: نفسه ، ص. 150.

وفي صبيحة اليوم الموالي الموافق لـــ 20 يوليو 1921 خرج الجيش الاسباني من أنوال بقوة هائلة حوالي عشرة آلا ف جندي وكانت المعركة كما توقع الخطابي شديدة وقوية فقد استعملت فيها أسلحة عديدة من مدافع ورشاشات وقنابل، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا لحامية "إغريبن" بل بقوا عاجزين لأن المجاهدين الريفيين كانوا لهم بالمرصاد وطبقوا أوامر قائدهم بحذافيره ا فلا إطلاق للنار العشوائي إلا عندما يكون الهدف قريب لضمان إصابته بدءا بأصحاب الرتب ولا مفارقة لأماكنهم مهما كان الضغط، وتحت هذا الظرف والمعركة جارية خرجت الحامية التي بإغريبين قصد الوصول إلى القادمين لإغاثتها لأنها لم يبقى لها أمل في البقاء والانتظار لفك حصارها. لكن هذا القرار كان فيه هلاكهم فقد أبيدوا من طرف الريفيين إلا القلة القليلة مع قائدهم الذي لم يستسلم بالأمس وسيقوا أسرى، كل هذا يحدث وسلفستري يكتفي بالنظر من معسكره دون حراك وهو يشاهد مصرع جيشه وأسر قائده. وبعدما سقطت حامية إغريبن في أيدي الريفيين وغنموا ما بها من ذخائر انطلقوا إلى تحرير المراكز المجاورة وانقضوا على جنودها وبقي إطلاق النيران إلى الليل في تتبع لآثار العدو الذي لجأ إلى معسكره ليحتموا به، والذي حدث هو تمرد الريفيين الذين اصطحبهم الجنرال سلفستري في جيشه وانضمامهم إلى إخوانهم المجاهدين وأخذوا يقتلون الاسبان في أي محل يحل به[1].

بعد هذا القتال أمر عبد الكريم رجاله بتحصين المراكز الجديدة والتحضير لمواجهة رد الفعل الاسباني القادم الذي كان يعرف بأنه سيكون قويا وقاسيا، وفي تلك الليلة عمل سلفستري على تحضير جيشه المتبقي بعدما عرف مدى ضعفه ومدى قوة المجاهدين. وفي الصباح 21 يوليو 1921م أمر قواته بالخروج لاستقبال العدو الريفي وعلى بعد 500 متر من أنوال اصدموا بالقوات الريفية التي أمرها الخطابي بالتحرك في قتال عنيف وخشن لا رحمة فيه ولا شفقة استعملت فيه كل أدوات القتل. وبدأت الجنود الاسبانية تتساقط في مشهد رهيب أمام سلفستري فأمر بنسف القيادة الرئيسية لكي لا يستغل الريفيون ما بها من سلاح وذخيرة. ولم يكن يتوقع محمد بن عبد الكريم الخطابي أن يصل سلفستري إلى هذا اليأس ويهدم مقر قيادته

[1] - أنظر: سكيرج: مصدر سابق، ص. 25؛ أمزيان: مرجع سابق، ص.ص 150،151.

وهو الذي يعرف بشجاعته وقوته وكيف لا وهو الذي كان تلميذ عنده في معهد اللغة العربية للضباط الاسبان برتبة كلونيل لكن هذه الشجاعة ذهبت واختفت أمام عزيمة الريفيين[1].

ويصف محمد بن عبد الكريم الحال بقوله:"كانت الجنود تركض كالخيل الهائمة ضباط يفرون ولا يعرفون أين الملتقى. جيش بكامله يتمزق، أفواج تضطرب في ساحة الوغى ولا تستطيع إمساك نفسها فكانت هدفا لرصاص الريفيين ولرصاص أنفسهم، كان المشهد بشعا للغاية، أشلاء تتناثر في الهواء رؤوس تتطاير في الفضاء بمقذوفات المدفعية والقنابل اليدوية، صراخ وعويل، هتاف وتكبير موقعه مروعة حقا"[2].

بعد سقوط معسكر أنوال في قبضة الريفيين وضعوا اجتماعا بخصوص تحرير المواقع الاسبانية المتبقية والمجاورة لأنوال وعلى رأسها معسكر سيدي إدريس وبعثوا لذلك حوالي 300 مجاهد وبعد ثلاثة أيام كانوا قد حرروا جميع المواقع واستولوا عليها بما فيها، وبخصوص معسكر سيدي إدريس فكان على شاطئ البحر وكان الاسبان مازالوا لم ينسحبوا منه وقد تتبعهم المجاهدون بالقتل ولولا مساعدة السفن الحربية لهم بالهرب حيث كانت ترسل لهم القوارب لتنقلهم إلى السفن الراسية في البحر، ولم ينج منهم إلا القلة القليلة كما كانت هذه السفن ترمي المجاهدين بالمدافع والرشاشات. وقد قوبلت بعدة طلقات من المدافع التي استولى عليها المجاهدون، ففرت هاربة خوفا من الغرق[3].

ويقول العربي اللوه وقد حضر الواقعة بعد ثلاث أيام من سقوط أنوال "ذهبت مع بعض الرفاق إلى المعسكر (ويقصد أنوال) ويا لفداحة المنظر، حيث أن ذلك المعسكر داخله وخارجه وعلى جوانبه ومقربة منه وجدناه مكتظا بالجثث المنتشرة هناك وهي عارية، لأن القوم جردوهم من ملابسهم، ومنتفخة من حرارة الشمس لأن الوقت كان فصل الصيف، ثم دخلنا إلى المعسكر وكان واسعا ووجدنا هناك الكثير من المدافع والرشاشات لازالت منصوبة في مواقعها، لأن الغنيمة التي القوم يتسابقون إلى الحصول عليها هي البندقية الجديدة، وبعد أن طفنا بتلك المناظر

(1) - أمزيان: مرجع سابق ، ص.ص 152،153.
(2) - نفسه، ص. 153.
(3) - سكيرج: مصدر سابق، ص. 26.

المهولة، رجعنا إلى القرية التي يوجد فيها الأمير ونزلنا هناك. وبعد العشاء أخذ المنادون يصرخون قائلين:"أيها المجاهدون قوموا وبادروا إلى معسكر سيدي إدريس، حيث أن ذلك المعسكر الذي يوجد على شاطئ البحر كان الغزاة لا زالوا لم ينسحبوا منه، وهكذا ذهبنا إلى القوم ليلا ولا زلت أتذكر أننا في سيرنا كنا نعثر بالجثث المنتشرة هناك، حتى وصلنا فجرا إلى قرب المعسكر سيدي إدريس الذي يقع على مرتفع هضبة بين شاطئي البحر والوادي وبينما كنا نصلي صلاة الصبح إذ بنا نسمع أصوات طلقات البنادق المتكررة والمتتابعة من المعسكر، فابتدرنا إلى المعسكر فوجدنا المجاهدين قد دخلوه وسيطروا عليه وهم يجولون داخله، متسابقين إلى الاستحواذ على غنائم بنادق وغيرها وإنما تمكنوا بسهولة من السيطرة على ذلك المعسكر لأن العداة لما يئسوا من النجاة وتيقنوا انه لا مفر لهم من الاستسلام أو الانسحاب والفرار"[1]

عند تحرير المعسكرات الاسبانية من طرف الريفيين والتي فاق عددها مائة مركز [2] لم يبقى للعدو إلا الانسحاب والفرار فثارت في وجه أهالي القبائل التي كانت محتلة واخذوا يقتلون ويعترضون كل من يمر بهم ولم ينج منهم إلا القليل. أما الجنرال سلفستري الذي عرف بشجاعته وحكمته فقد إصابته رصاصة أردته قتيلا على بعد عدة كيلومترات من أنوال بعد محاولة الهرب[3].

معركة أعروي وحصار مليلة:

لقد منيت القوات الاسبانية بهزيمة قاسية، رغم استخدامهم جميع أنواع الأسلحة الثقيلة منها والخفيفة، ومن بقي منهم على قيد الحياة لم يبق له مكان يذهب إليه إلا الفرار إلى مليلة تحت قيادة الجنرال "نافروا" الذي خلف سلفستري، وقد توجه بهم إلى معسكر قصبة سلوان بكلعية للدخول إلى مليلة لكن وجدوا الجيش الإسباني الذي خرج من مليلة لنجدتهم محصورا أمامهم في

---

(1) - اللوه: مصدر سابق، ص. 263.

(2) - Julien. **Le Marec**. op.CIT. P 123.

(3) - سكيرج: مصدر سابق، ص. 26؛ اللوه: نفسه، ص. 264.

الناظور، تحت نظر القائد الشريف السيد محمد بن علي بولحية فلم يجدوا مفرا إلا اللجوء إلى المعسكر المعروف بأعروي والتحصن به[1].

عندما التجأ الجنرال نافارو ومن معه من جند وضباط إلى معسكر أعروي وكان الأهالي يحاصرونه. فذهب إليه القائد الشيخ علي بن حدو البقيوي على رأس مجموعة من المجاهدين إلى معسكر أعروي يطلب من الجنرال نافارو الخروج والذهاب ومن معه إلى مليلة تحت حمايته شرط ترك كل عتاده داخل المعسكر لكن هذا الأخير رفض هذا الحل، فما كان من البقيوي إلا محاصرته دون وصول النجدات والتموين إليه وبعد مرور أربعة أيام طلب نافارو المفاوضة بعد ما ضاق الحال عليه، فبعث البقيوي وفدا من المجاهدين للمفاوضة دون سلاح لكن عند وصولهم المعسكر تم إطلاق النار عليهم وكان رد الفعل لهذا الغدر غير متوقع فقد هز الريفيين موجة من السخط والغضب عندما رأوا ما حدث، فنشب قتال عنيف طوال يومين بلياليهما انقضوا فيها على العدو في معركة وحشية فريدة من نوعها، واضطر البقيوي إلى اقتحام المعسكر فلاذ الجنود بالفرار لكن الأهالي أحاطوا بهم وذبحوهم بالسكاكين على آخرهم دون رحمة أو شفقة، أما نافارو وبعض الضباط فوقعوا أسري، حيث كانت مجزرة مروعة شهدها جبل وسهل أعروي يوم 1921/08/09م وهذه القسوة من الأهالي راجع إلى معاملة الاسبان لهم طوال حكمهم في المنطقة من تعسف وبطش واضطهاد حتى لم يبق أحد يصبر ويسكت على الثأر منهم وقد حانت الفرصة ليثبتوا ذلك، ويفرغوا ما في صدورهم من غل، ولولا الأوامر المشددة من محمد بن عبد الكريم الخطابي بعدم قتل الأسرى لكانت الكارثة أعظم[2].

بعد الانتصار في جبل أعروي واستسلام الجنرال نافارو وجد المجاهدون الطريق مفتوح إلى مليلة فوصلوا إليها وضربوا عليها حصارا وقذفوها بالمدافع التي غنموها من عند الاسبان[3]، وبقوا ينتظرون الأوامر من القيادة العليا أعيان بني ورياغل للدخول إليها

[1] - سكيرج: مصدر سابق ، ص.ص 26-28.
[2] - أمزيان: مرجع سابق، ص.ص 274،275.
[3] - أنظر الأمير: مصدر سابق، ص. 103؛ سكيرج: نفسه ، ص. 28.

واسترجاعها بعد خمسة قرون من الاحتلال إلا أن الأوامر جاءت عكس ذلك فقد كانت بعدم الدخول وهذا راجع إلى عدة اعتبارات منها:

أن القيادة لم تكن قد أسندت بعد إلى محمد بن عبد الكريم الخطابي وكان القرار يصدر من الجماعة أي أعيان بني ورياغل، إضافة إلى أن الجيش لم يكن منظم ليطبق الأوامر ويحافظ على الأرواح وهذا راجع إلى انضمام قبائل عديدة لم تكن قد انقادت بعد إلى محمد بن عبد الكريم ويقول صاحب كتاب الظل الوريڨ في محاربة الريف "تفاوض أعيان المجاهدين الذين من حملتهم السيد محمد بن عبد الكريم والسيد محمد أزرقان في شأن الاستيلاء على مليلة وحصل اتفاقهم على عدم الدخول إليها خشية الفتك بمن فيها من أجانب ومسلمين وليس في هذا الإبان عندهم عسكر نظامي يحافظ على ترك النهب وقتل النساء والصبيان من الاسبان وغيره"[1]. وهذا ما لاحظه في معركة أعروي وما أحدثته القبائل التي أنظمت إلى المجاهدين بعدما كانت خاضعة للاسبان وما فعلته بالجنود الاسبانية الهاربة ولولا توصيات عبد الكريم بالأسرى لكان الخطب أعظم، وما حدث أيضا في معسكر الكبداني في قبيلة بني سعيد عند ما أعطوهم الأمان وكان عدد العساكر الاسبانية ثلاث آلاف وعندما وضعوا أسلحتهم وخرجوا غدروا بهم وقتلوهم فخاطبهم عبد الكريم قائلا:"يا بني سعيد: كيف بكم تغدرونهم بعدما أعطيتموهم الأمان، ونحن المسلمين نوفي بالعهود مع إنكم كنتم تابعين للاسبان، وكان من حقكم أن لا تفعلوا ما فعلتموه"[2].

فلعدل عبد الكريم وأخلاقه فرضت عليه عدم الدخول إلى مليلة، خاصة الحالة المزرية التي كان عليها سكان مليلة فكان يسيطر عليهم الذعر والخوف بعدما انهزم الجيش الاسباني في أنوال وأعروي حيث يقول العربي اللوه "وهكذا وصل المجاهدون إلى ضواحي مليلة حيث اعترى سكان مليلة ما لا يتصور من الذعر والفزع" [3] وبالتالي دخول مليلة على هذا الحال لم يكن ليرضي عبد الكريم ولن يكون انتصارا بالنسبة له وهذا لأخلاقه ودينه وقيمته الإنسانية.

---

[1] - سكيرج: مصدر سابق، ص. 26.

[2] - نفسه، ص. 27.

[3] - اللوه: مصدر سابق، ص. 265.

ولاعتبارات أخرى يقول عبد الكريم "وصلت إلى أسوار مليلة وهناك توقفت ومنعت المجاهدين من القيام باحتلال – تحرير – المدينة خوفا من أن يحدث ذلك مشكلات دولية" [1]. لأن عبد الكريم يعلم هذا جيدا بحكم تكوينه وعلاقته وخبرته وعمله في الصحافة والمؤسسة العسكرية الاسبانية وما تربط المغرب من معاهدات مع اسبانيا، يعلم أن الاعتداء على مليلة هو اعتداء على منطقة اسبانية باعتبارها محتلة منذ خمسة قرون وهذا تعد باعتبار أن الهدف هو الدفاع عن أرض الريف، كما أن هذا التصرف معناه التنحية التامة للوجود الاسباني في المنطقة وبالتالي هو إعلان حرب واسعة تؤدي إلى ردود فعل دولية خطيرة من شأنها أن تكسر حركة التحرر التي يقودها وهي لا تزال في بدايتها.

هذه هي الاعتبارات التي استند إليها الخطابي في قراره بعدم الدخول إلى مليلة وكلها تملك أحقية وحجة مصرة رغم أنها أثارت عدة تأويلات باعتباره ارتكب خطا بعدم الدخول، لأن التطور السياسي والعسكري الذي بدأ لم يكن ليتوقف عند أبواب مليلة وأن قراره لم يكن ليمتع الدول الاستعمارية من التدخل لقمع ثورته خوفا عن مصالحها في مستعمراتها وقد اعترف بذلك حين قال:"واليوم أتأسف على ذلك واعترف أنه كان خطأ ارتكبته في حياتي ..... وكان بإمكاننا القيام بهذا العمل بكل سهولة ...... ولكن الحقيقة هي أنني كنت أفقد أن ذاك الرؤيا السياسية اللازمة"[2].

كما اتخذ الاسبان من مليلة قاعدة عسكرية وأتاحت لها فرصة لإرسال قوات جديدة عن طريق البحر للهجوم من جديد.

[1] - الأمير: مصدر سابق، ص. 104.
[2] - نفسه ، ص. 104.

نتائج معركة أنوال:

لقد بذل محمد بن عبد الكريم الخطابي جهودا كبيرة لتفادي المواجهة العسكرية مع الاسبان فكلف السيد أزرقان بالذهاب إلى مليلة لإيجاد مخرج للمأزق الذي خلفه سلفستري، غير أن هذا الأخير لم يكن يرى عن الحل العسكري بديلا، فكانت أنوال والتي سميت "بأم المعارك" ثم بعدها مجزرة أعروي وما رافق كل ذلك من اندحار.

ويقول ملحس الصالح:"كانت واقعة (أنوال – عريت) ضربة قاضية على الاسبان ومن أشهر المعارك التي لا يزال صداها يرن في تلك الديار"[1].

لقد تحولت اسبانيا كلها إلى مأتم فقد قدر عدد قتلاها بالآلاف إلا أنه لم يتم حصره بالضبط وفي هذا يقول العربي اللوه:"نشير إلى أن الخسائر التي مني بها العداة في الأرواح والعتاد الحربي في تلك الهزيمة الشنعاء التي اشتهرت بهزيمة أنوال، كل ما قيل في ذلك فهو تكهن ورجم بالغيب، إذ ليس من الممكن في تلك الظروف عدها وحصرها وعلى الأخص الأرواح والبنادق فالأرواح كانت منتشرة فـي الهضاب والممرات والأودية والخنادق والسهول. لذا كان من غير الممكن استقصاؤها وحصرها في تلك المسافة الشاسعة طولا وعرضا من ظهر أبران تيزعزي، أنوال، سيدي ادرسي إلى أبواب مليلة" [2]. والعدد التقريبي حسب ما اتفق عليه فقد تراوح عدد الضحايا ب خمسة وعشرين ألف اسباني بين قتيل وأسير [3]. وكانت بالفعل كارثة عسكرية منيت بها اسبانيا.

ويقول محمد بن عبد الكريم الخطابي:"إننا في الواقع لم نكن نريد إبادة أبناء اسبانيا ولم نكن بحاجة إلى قتالهم ولكن قادتهم ساقوهم بوسيلة أو بأخرى إلى حتفهم وحتف من ساقهم، ومع هذا الانتصار الذي أحرزناه، فإننا تألمنا لمصرع الشباب من أعدائنا"[4].

[1] - ملحس: مصدر سابق، ص. 50.
[2] - اللوه: مصدر سابق، ص. 265.
[3] - ملحس: نفسه ، ص. 50.
[4] - أمزيان: مرجع سابق، ص. 154.

وبالنسبة للغنائم التي غنمها الريفيون يقول محمد بن عبد الكريم أيضا:"لقد قدمت إلينا اسبانيا في أسبوع واحد كل ما كنا بحاجة إليه من الأسلحة والذخائر والمهام العسكرية لتكوين جيش وطني قوي يستطيع أن يقاتل ببأس سنتين" [1] حيث بلغت الغنائم "ما يزيد عن مائة مدفع ثقيل و ومائتي مدفع صغير ونحو ألف رشاش وما يزيد عن ثلاثين ألف بندقية وملايين الطلقات والقنابل وغير ذلك من الغنائم والملابس والأدوية وكمية كبيرة من المؤن"[2].

لقد كان لهزيمة أنوال وقعا كبيرا على جميع القوى الاستعمارية وكارثية على أحلام الاستعمار الأوربي في كل مكان فكان لها تأثير كبير على الأوضاع الداخلية في اسبانيا فكانت سببا في استقالة الحكومة الاسبانية 10 أغسطس 1921م وأحدثت انقساما بين العسكريين وتم تأليف وزارة جديدة بطلب من الملك ألفونسو الثالث عشر،وانقسم الرأي العام وارتفعت الأصوات المطالبة بأنها الحرب الاستعمارية والجلاء عن المغرب [3] وفي الجانب الفرنسي فقد تيقن بأن مصيره في المغرب مربوط ومتعلق بالحرب الاسبانية لأن انتصار هذه القوة الريفية لا بد أن تدفعها إلى تحرير المغرب ككل ومن هنا بدأ الموقف الفرنسي يأخذ أبعاده المعادية للثورة الريفية.

كما أحدث انتصار أنوال على الصعيد المحلي ثقة نفس كبيرة عند الريفيين في الوقوف في وجه الاستعمار مهما كانت قوته وزادت في تماسكهم وكما لوحظ انضمام بقية القبائل وامتدت الثورة إلى الجهة الغربية (قبائل غمارة) بطلب من قبائلها للانضمام إلى صفوف الثورة ومحاربة الاسبان[4].

ويصفها كريم ثابت فيقول:"هو الانكسار الذي بث روح الأمل والرجاء في قلوب الريفيين وشجعهم على مواصلة القتال وساعد عبد الكريم في دعوته إلى قبائل الجبال بامتشاق الحسام

---

(1) - أمزيان: مرجع سابق، ص. 158.
(2) - الأمير: مصدر سابق، ص. 104.
(3) - ملحس: مصدر سابق، ص. 50.
(4) - الأمير نفسه، ص. 127.

والاشتراك في النزال ومن ذلك الحين أخذ الاسبان يعانون الانكسار حتى اعتصموا بمواقعهم الحالية التي هي أقرب إلى البحر منها إلى البر"[1].

ولعل أهم نتائج هذه المعركة بعد اجتماع جميع القبائل تحت كلمة واحدة هو تأسيس جمهورية ريفية يرأسها محمد بن عبد الكريم في 19 سبتمبر 1921م. وقيامها على أسس الدول الحديثة من خلال إحداث تغيرات حقيقة في بنية المجتمع الريفي في مختلف المجالات[2].

---

[1] - كريم خليل ثابت: **عبد الكريم والحرب الريفية**، مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، 1925، ص. 37.

[2] - الأمير: مصدر سابق، ص. 128.

تأسيس الجمهورية ومؤسساتها:

بعد معركة أنوال لاحظ المجاهدون أن القبائل التي انضمت إليهم لمقاتلة العدو استبدت بالغنائم التي غنموها. وربما من أقوى الدوافع في انضمام بعضهم لمحاربة العدو هو امتلاك البنادق التي يغنموها وهذا ما جعلهم يتسابقون إلى القتال لامتلاك أكبر عدد منها، والتي كانت من المفروض أن توضع في مكان خاص لمعالجة النقص لدى المجاهدين عند الحاجة وأيضا لضمانها من الضياع، وعندما وصل الخبر إلى محمد بن عبد الكريم لم يأمر بجمع السلاح من يد كل واحد منهم خوفا من الفتن باعتبارهم لم يكونوا قد انضموا تحت رايته وكانوا أحرارا في تصرفاتهم لأن مسؤولية عبد الكريم كانت قائمة على قبيلة بني ورياغل والقبائل المتحالفة معها قبل معركة أنوال، أما بعدها فان انضمام القبائل الجديدة زادت في القوات الريفية وكان لا بد من تنظيم يتلاءم وطبيعة الحرب مع الاسبان، فدعا الخطابي أعيان القبائل وتفاوض معهم بأن يتم تنصيب قائد على كل قبيلة ويشكل هؤلاء القياد جمعية وطنية ريفية ليسهل اجتماعهم والتفاهم فيما بينهم في مواجهة عدوهم ويكون هناك تنظيم في الأوامر خير من أن ينفرد كل واحد برأيه[1] واتفقوا على أن تكون هذه الجمعية الوطنية هي مرجع لحركة المقاومة وهي التي تدير شؤون البلاد وتسن القوانيين وتصنع الأنظمة[2].

بهذه الطريقة استطاع محمد بن عبد الكريم أن يسيطر على زمام الأمور بعدما زاد عدد الثوار وبدأ يمهد لتجريد القبائل من السلاح وجمعها ووضعها في خدمة الجهاد، فوضع اجتماع للجمعية الوطنية يشاورهم في هذا الأمر، خاصة بعدما أصبح امتلاك السلاح والتجول به داخل القبيلة لا طائل منه فقد توحدت صفوف القبائل وساد الأمن وأصبح كل واحد يأمن على نفسه وأهله وماله لذا وجب جمع البنادق والذخيرة لتوضع في مراكز قريبة من خطوط القتال ليتزود بها المجاهدون، وبعد التشاور فيما بينهم اتفقوا على الإعلان في جميع القبائل لتسليم بنادقهم للمصلحة العامة وهي تزويد المجاهدين لمحاربة العدو، كما تم فرض عقوبة في شكل غرامة أو

(1) - سكيرج: مصدر سابق، ص. 40.
(2) - ملحس: مصدر سابق، ص. 31.

سجن على كل من لم يطبق الأوامر وهكذا أخذ القوم يسلمون بنادقهم في المراكز المعنية لكل قبيلة. ثم بعد أن كان الفرد يسير في الطريق إلا وبندقية بيده، لا لحماية نفسه فقط بل للتزيين والافتخار بها. أخذ القوم يتعودون على التجوال في جميع الجهات، من غير حمل البندقية حتى ألف القوم ذلك واعتادوه[1].

لقد وضعت البنادق في مخازن خاصة بالسلاح وكانت مواقع المخازن في مناطق تسهل على المقاتلين التسليح منها بسرعة والتوجه إلى خطوط القتال في الوقت المناسب كما أنها محاطة بسرية تامة لكي لا يقصفها طيران العدو كما بنيت بمساعدة الأسرى الاسبان وهي تسير بنظام كبير حيث يتم إحصاء بالتدقيق جميع الأسلحة في جميع المراكز والتي توضع بشكل منظم بحيث كل نوع من السلاح له مكانه الخاص به، وأهم المخازن نجد[2]:

- المخزن المركزي المتواجد قرب أجدير في قرية أوغار ببني ورياغل ويحتوي على مختل الأسلحة الحربية.
- مخزن بوهم ببني ورياغل أيضا ويحتوي على الأسلحة الثقيلة وفيه ثلاثين مدفعا وقذائف الطائرات وآلات حربية أخرى.
- مخزن في قرية بوصالح في أعالي نهر غيس، وهو مخزن خاص بالرشاشات.
- إضافة إلى هذه المخازن نجد مستودعات أخرى تابعة إلى المراكز الحربية في المحاكم.

بعدما تم تشكيل الجمعية الوطنية وتولت تنظيم الجهاد وإدارة شؤون البلاد، ففي أول اجتماع لها في 19 سبتمبر 1921م لاحظوا انه ينقصهم من يتولاهم ويكون مسؤولا عنهم واتفقوا أن يبايعوا محمد بن عبد الكريم الخطابي أميرا عليهم وتكون الكلمة له قبلهم ويكون الآمر والناهي لما رأوا فيه من الحكمة والسير الحسن وحبه للخير وخدمة البلاد والعباد، وكان هذا الاجتماع في المكان المعروف بظهر السلوم في أجدير في غياب كل من محمد بن عبد

(1) - اللوه: مصدر سابق، ص. 270.
(2) - الأمير: مصدر سابق، ص.ص 156،157.

الكريم وعمه السيد عبد السلام وصهره السيد احمد أزرقان وأخوه الذي كان في فرنسا وعندما وصلهم الخبر بالبيعة لم يقبل لأنه كان يرى نفسه لا يميل لها وأن تكون لغيره ومن هو أجدر منه لكن بعد أن أقنعه السيد محمد أرزقان وبين له أن المبايعة جاءت من خلال اتفاق وتشاور القوم فيما بينهم بأن يكون ولي عنهم، وما عليه إلا أن يقبل لأنهم أحسنوا الظن فيه من إخلاص وليس لهم غيره. وبعد ثلاثة أيام، قبل الإمارة وقام فيهم خطيبا وأظهر لهم أن قبوله للإمارة لم يكن إلا امتثالا لأمرهم الذي اجمعوا عليه كما بين لهم أنها ليست إمارة ملك وإنما لتوحيد الكلمة، وأن لا يعامل مثل الملوك بل هو واحد منهم وأن يعاملوه كما كان عليه قبل الإمارة، وفي خطابه بين خطورة الاسبان في أرضهم وأنه أعلم منهم ويعرف مقاصدهم باعتباره كان من المقربين عندهم، وبين طاعته للمولى يوسف باعتباره سلطان البلاد. وفي الأخير وضح بأن نصرة الحق مسؤولية الجميع، ثم قام الفقيه بو لحية خطيبا وزاد في الثناء عليه لما ظهر منه، وأنهم تحت إمارته وطاعته ما داموا هم الذين خيروه، وبعدما رفعوا أيديهم لقراءة الفاتحة وطلبوا أن يخصص لهم يوما لقدوم من بقي من أعيان القبائل لتهنئته، فإذن لهم بشرط أن لا يتحملوا المشاق في ذلك وبعد عدة أيام وضع اجتماع لهم وتفاوض معهم في تنظيم شون البلاد، وتكون دولة جمهورية لها نظام سياسي ومؤسسات سياسية وإدارية(1).

لقد عمد الأمير إلى تأسيس الجمهورية لأن الضرورة هي التي اقتضت ذلك وهذا راجع إلى عدد القبائل التي جاءت وانضمت للمجاهدين إضافة إلى الكم الهائل من الأسلحة التي استولوا عليها والتي كانت تشكل فوضى ولا بد من نظام يحميها. فأسس هذه الدولة، وكانت دولة موحدة وليست مبنية على القبيلة أو الجهوية بل كانت دولة إسلامية.

شرعت الجمعية الوطنية على وضع دستور للبلاد يقوم على سلطة الشعب ونص على إنشاء السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية ووضعها تحت إشراف الجمعية الوطنية، ويكون الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي رئيسا للجمعية الوطنية، وأجبر على كل شيخ أو قائد من أعضاء الجمعية تنفيذ الأوامر التي تقررها الجمعية ويكونوا مسئولين عنها أمام الرئيس بصفته

(1) - سكيرج: مصدر سابق، ص. ص. 51-53.

رئيس الجمعية والحكومة ككل، كما مضى الدستور على تشكيل وزارة لإدارة شؤون البلاد وتنظيم أحوالها[1].

كما شرعت الجمعية في وضع ميثاق قومي يكون منهاجا للشعب في كفاحه ونضاله وشق طريقه من أجل الحرية والاستقلال وشروط التعامل مع الاسبان باعتباره عدوهم الدائم وطريقة التعامل مع بقية الدول وبعد عدة جلسات تضمن الميثاق النقاط التالية[2]:

1. عدم الاعتراف بكل معاهدة تمس حقوق بلاد المغرب الأقصى أو يكون لها علاقة بمعاهدة سنة 1912.
2. جلاء الاسبان عن المنطقة الريفية التي لم تكن مشمولة بنفوذهم قبل إبرام المعاهدة الاسبانية الفرنساوية سنة 1912م فلا يبقى لاسبانيا سوى سبتة ومليلة وما جاورهما من الأراضي.
3. الاعتراف بالاستقلال التام للدولة الريفية.
4. تأليف حكومة جمهورية دستورية.
5. أن تدفع اسبانيا للريفيين تعويضا من الخسارة التي لحقت بهم في السنوات الاثنى عشر الماضية وفدية للأسرى الذين وقعوا في قبضتهم.
6. إنشاء علاقات ودية مع جميع الدول بلا تميز وعقد محالفات تجارية معها.

والمتتبع لبنود الميثاق يلاحظ من خلال البندين الأول والثاني إن حركة المقاومة لا تعترف بمعاهدة الحماية الفرنسية الاسبانية على المغرب وترفض الوجود الاسباني في المنطقة والبندين الثالث والرابع يؤكد على الاعتراف التام باستقلال البلاد وتأليف حكومة جمهورية يثبت لأوربا والعالم أن المغاربة غير عاجزين عن أدارة أنفسهم بأنفسهم وليسوا بحاجة إلى وصاية أو حماية من أجنبي وفي البند الخامس اعتمدت الجمهورية على تعويضات الخسائر والأسرى الاسبان في

(1) - ثابت: مصدر سابق، ص. 27.
(2) - نفسه، ص. 28.

إنعاش اقتصادهم وتغطية تكاليف الحرب، كما بينت في البند السادس نواياها الحسنة والسلمية ورغبتها على إقامة علاقات ودية مع كافة الدول.

كما تم تشكيل الوزارة التي نص عليها الدستور ووزعت مهامها على الأعضاء[1].

ولقد اختارت الجمعية الوطنية علما للجمهورية الريفية وهو عبارة عن علم أحمر تتوسطه نجمة خضراء سداسية ضمن هلال في رقعة بيضاء وهذه الألوان تؤكد أن الجمهورية الريفية لا تتحيز إلى القبلية أو الجهوية بل إنها بعيدة كل البعد عن ذلك فهي دولة إسلامية تمس جميع القطر المغربي والعربي ككل وهي ترمز إلى الأعلام العربية عبر التاريخ فاللون الأحمر كان شعار للحجاز قبل الإسلام وما زال راية الأسرة الشريفة، واللون الأخضر هو شعار أهل البيت النبوي الشريف والفاطميين أما اللون الأبيض فهو شعار الأمويين في الشام والأندلس[2].

كما اختار الدستور مدينة "أجدير" مسقط رأس الأمير وجعلها عاصمة للجمهورية الريفية باعتبارها مركز الحركة التحريرية، وأيضا معسكرا للجيش الريفي رغم صغرها بحيث لا يزيد طولها عن الميلين وعرضها عن الميل الواحد. ورغم وقوعها في منطقة جبلية تحضنها إلا أن قذائف المدفعية الاسبانية تستطيع أن تصيبها من جهة الحسيمة[3].

[1] - أنظر القائمة التي تبين تشكيل الوزارة في (الملحق رقم.03.)
[2] - ثابت: مصدر سابق، ص. 30؛ أنظر الرايات المرفقة في (الملحق رقم 04)
[3] - ملحس: مصدر سابق، ص. 33.

مؤسسات جمهورية الريف:

بالرغم من أن البلاد كانت في حالة يرثى لها، فالفوضى سائدة في كل مكان والثورات منتشرة في أنحائها إضافة إلى الأزمة الاقتصادية التي ضيقت الخناق على الشعب إلا أن الأمير محمد بن عبد الكريم بذل جهودا كبيرة في سبيل إنقاذها، فحقق الأمن ونشر العدل، وبالرغم من أن المؤسسة العسكرية كانت في مقدمة أعماله إلا أنها لم تشغله أو تنسيه عن المؤسسات المدنية التي تدير شؤون البلاد وما يحتاجه الشعب في مستقبله، فقام بعدة إصلاحات في جميع فروعها فنظم مالية البلاد وأصلح الإدارة ونظم التجارة والزراعة واهتم بالتعليم فأنشأ المدارس وأرسل البعثات العلمية إلى أوروبا كما اهتم بالصحة فأنشأ المستشفيات والمستوصفات واهتم بالقضاء وشيد طرق المواصلات وعبدها وربطها ببعضها البعض[1] وقد كانت المؤسسات كالتالي:

المؤسسة العسكرية: وتمثلت هذه المؤسسة في الجيش:

بما أن مسألة الجيش هي التي ترتكز عليها أي دولة وهذا لأهميتها فقد جعلتها الجمعية الوطنية في مقدمة المسائل التي ناقشها باعتبارها الأكثر حيوية في الجمهورية الريفية والوسيلة الوحيدة التي واجهت بها الاسبان طوال مدة حربها بداية بأول جيش الذي قدر بحوالي 300 مجاهد في بداية الحرب إلى غاية بعد أنوال التي شهدت طرد الاسبان من منطقها وانضمام عدد كبير من القبائل إلى المجاهدين وهذا ما أدى إلى التفكير في وجود طريقة لتنظيم تلك القوات المتطوعة، فخلصت الجمعية الوطنية بعد اجتماعها إلى إعلان التجنيد العام لاعتبارها أن الدفاع عن الوطن مسؤولية الجميع وأعطت للأمير السلطة التامة في اختيار الوسائل اللازمة لتطبيق هذا الإعلان كما أعطته قيادة الجيش العليا وأطلقت يده في وضع الأنظمة العسكرية والخطط الحربية[2].

ويقتضي نظام التجنيد العام بتجنيد الرجال القادرين على حمل السلاح من سن السادسة عشر إلى سن الستين وكان هذا التجنيد وفق تقاليد البلاد وتركيبها الاجتماعي، كما جعل طريقة

(1) - ملحس: مصدر سابق، 37.
(2) - نفسه، ص. 46.

التدريب والتعبئة تتلاءم مع أحوال القبائل، فجعل الرتب ونظمها حسب عدد المقاتلين فوضع ضابط على كل 25 مقاتلا وأخر على 50 مقاتل وقائد على 100 وقائد أعلى على 500 مقاتل يسمى قائد الرحى، وكانت الرتبة تختلف حسب أهمية القوة التي يقودها ويتولاها كل قائد منهم، كما استغل الطاقات البشرية المتبقية من شيوخ ونساء وأطفال لتوفير الأمن للبلاد وحماية الأماكن الداخلية، و كلفوا بإمداد المجاهدين على خطوط القتال بما يحتاجونه من مؤونة وذخائر، ونجد النساء فعلن أكثر من ذلك فقد شاركن حتى الرجال في القتال من خلال تشجيعهم وتقديم لهم البندقية بعدما تتم من حشوها[1].

وبالنسبة إلى مواجهة العدو في ساحة القتال فكان ذلك بالتناوب وهذا أمرا من الأمير الذي يعين دور كل منها حسب الحاجة وما تقتضيه أمور الحرب غير أن السائر به هو أن تعمل كل مجموعة أسبوعين في ساحة القتال ثم يعود رجالها إلى عملهم العادي من زراعة وتجارة وغيرها وما تحتاج إليه الأسرة والأولاد من قوة وتخلفها المجموعة الأخرى التي تنوب عنها في ساحة الحرب، أما رجال المجموعة الأولى فيكونون دائما مستعدين للحرب عند كل طلب[2].

وأصدر الأمير بعد تشكيل الجيش قرارا يهدد فيه كل من لم يطبق أوامره أو يفر من التجنيد بحرمانه من حقوقه الوطنية ومصادرة أملاكه[3].

وهكذا أصبح الشعب الريفي في قمة النظام لمواجهة العدو وحماية البلاد، وأظهر الأمير حكمة في هذا التنظيم وتعبئة الشعب للدفاع عن الوطن.

ويقوم بتدريب هؤلاء الجنود ضباط ريفيون درس أغلبيتهم في المدارس العسكرية الإسبانية، والبقية تدربوا على أيديهم. وهم مهتمون بتدريب الجنود الريفية أي اهتمام، وبخصوص الإشاعات التي أصدرتها بعض الصحف الأوربية عن تدريب الجنود الريفية بواسطة ضباط أجانب من الإنجليز والألمان وغيرهم، فقد رد عليهم الأمير بقوله "لا صحة لما

---

(1) - الأمير: مصدر سابق، ص.ص 144،145.
(2) - ملحس: مصدر سابق، ص. 47.
(3) - نفسه ، ص. 47.

أكدته الصحف الأوربية من وجود ضباط أجانب يدربون جيشنا ويقودونه، فضباطنا كلهم من الريفيين وهم يدربون جنودنا بمهارة بعد الاختبار الذي اكتسبوه في معارك شتى، أما الأجانب الذين عندنا فليسو سوى الأسرى الاسبان الذين تحترمهم حكومة الريف وتعاملهم معاملة حسنة"[1]، مما يدل على أن الحروب الكثيرة التي خاضها الأمير محمد ابن عبد الكريم وجنوده أعطت للريفيين خبرة كبيرة في تدريب الجيش الريفي وتكوينه ليكون في استعداد تام في وجه العدو.

وتنقسم هذه القوات النظامية إلى ثلاث أقسام كالآتي

1. الحرس الأميري: وهم الحرس الخاص بالأمير ويبلغ عددهم مائة وخمسين رجل ومهمتهم حماية الأمير ومقره ومرافقته في ترحاله، ويلبسون عمامة زرقاء تميزهم عن غيرهم[2].
2. المشاة: وهذه الفئة هي التي تظم أكبر عدد من القوات النظامية ويطلق عليهم الأمير الجانب الأكبر من اعتماده، وبلغ عددها من ستة إلى عشرة آلاف مقاتل وكانوا مقسمين حسب الرتب قائد الخمسة والعشرين جندي وقائد الخمسين جندي وقائد المائة وقائد الخمسمائة، وكان من بينهم فئة من الجنود الرشاشين المزودين بحوالي مائتي مدفع رشاش. وهذه الجنود النظامية يدفع لكل جندي منها ستون بيزتا شهريا أما القواد فكل حسب رتبته فقائد الطابور وهو قائد الخمسمائة فمرتبه الشهري مائة وخمسون بيزتا، وقائد المائة فمرتبه مائة بيزتا، وقائد الخمسين ثمانون بيزتا، وقائد الخمسة والعشرين خمسة وسبعون بيزتا، وتقدم لهم الجراية أيضا وهي مؤلفة من الخبز والتين والزبيب الناشف أو العنب أو السمك. أما القوات المتطوعة والتي تمثل العدد الأكبر من القوات المسلحة في جمهورية الريف وهي خارج عن القوات النظامية فكانت تستدعى عند الحاجة ويطلق عليها اسم القوات الخارجة وهي مؤلفة من رؤوس القبائل الموالية

(1) - ملحس: مصدر سابق، ص. 49.
(2) - نفسه، ص. 47.

للأمير محمد ابن عبد الكريم ويتولون قيادة قواتهم بأنفسهم ولا يتقاضون مرتبا من الأمير إلا الجراية[1].

3 -المدفعية: واستحدثت المدفعية بعد الغنائم الكبيرة التي غنمتها القوات الريفية في معركة أنوال، وقد تم تشكيل مدفعيين مهرة عملوا قبلا في الجيش الإسباني يدافعون عن الشواطئ على كل إنزال إسباني من البحر إلى البر[2].

وكان لباس الجيش يتألف من الجلابية القصيرة بنية اللون مع عمامة خضراء أما حملة الرشاشات فكانوا يرتدون العمامات السوداء، أو الخضراء حسب رتبهم، أما القادة فكانت لهم شارات تظهر رتبهم وتميزهم عن الجنود. فنجد لقائد الخمسمائة ثلاثة خطوط حمراء على العمامة وأما قائد المائة فكان له خطان وأما قائد الخمسون فكان له خط واحد والذي يميزه أكثر أنه يحمل مسدس على يساره وقائد الخمسة والعشرين له خطان صغيران أحمران[3].

والعدد الإجمالي للقوات المسلحة الريفية "النظامية والخارجة" لم تكن محددة بالتدقيق إلا أن بعد التقديرات إذ أخذنا عدد سكان الريف وحذفنا منهم عدد الشيوخ والأطفال والنساء نجده يضاهي العدد الذي صرحت به الصحف الأجنبية في نحو خمسة وستون ألف جندي وقد ارتفع العدد بعد انضمام قبائل الجبالة نهاية 1924م إلى مابين مائة وأربعون ألف ومائة ستون ألف جندي[4].

المؤسسات المدنية:

لقد لقيت المؤسسات المدنية في جمهورية الريف اهتماما كبيرا رغم الظروف التي كانت سائدة فنظمت مالية البلاد واهتمت بنظام التعليم كما نظمت القضاء والصحة والمواصلات.

الإصلاحات المالية:

(1) - ثابت: مصدر سابق، ص.ص 32،33؛ الأمير: مصدر سابق، ص. 148.
(2) - ثابت: نفسه، ص. 33.
(3) - الأمير: نفسه، ص. 149.
(4) - أنظر ثابت: نفسه، ص.ص 34،35؛ العلمي: مرجع سابق، ص. 28؛ الأمير: نفسه، ص. 146.

نظرا لمصاريف المؤسسات الريفية فقد كانت ميزانيتها من عدة مصادر [1].

1 **مصادر داخلية:** والتي كانت ترتكز على الزكاة والضرائب.

فالزكاة كانت تفرض على الماشية والمحاصيل والسلع التجارية وتدفع نقدا أو على شكل منتوج زراعي وهذا بإلزام الفلاحين بزراعة أراضيهم وإلا تعطي لغيرهم ليستغلها ضمانا لعدم تركها دون زراعة، وكان جمع الزكاة يتم بصورة دقيقة ومنظمة من طرف الأمناء الذي كلفهم وزير المالية وقد بلغت مدخولاتها السنوية بحوالي 75 ألف بيزتا.

أما الضرائب فكانت على ثلاثة أنواع:

1 الضريبة: وكانت تفرض على جميع السكان باستثناء الفقراء وجرحى الحرب.
2 التيجان: وهي ضريبة تفرض على الثروات وكانت محدودة على حسب ما تفرضه الحكومة على هذه الثروات.
3 الغرامات: وهي ضريبة تفرض على الجماعات الخارجة على السلطة أو تتمرد مثل ما حدث لقبيلة بني زروال عندما التجأت للفرنسيين سنة 1925م ففرضت عليها غرامة 50 ألف بيزتا.

2 **المصادر الخارجية:** وقد شكلت مواردها مبلغا ماليا ضخما للخزينة وهذا من فداء الأسرى حيث تم الحصول على 4 ملايين بيزتا عام 1923م فداء للأسرى الاسبان الذين أسروا في معركة أنوال كما أخذت الفدية على الجنود الاسبان المحاصرين في مراكزهم حيث يفدي المحاصرين أنفسهم بمبلغ من المال، والمورد الأخر هو المداخل الجمركية حيث كانت إدارتها في مدينة الحسيمة فقد كانت تفرض رسوم على الصادرات والواردات من فاس أو الجزائر وكان هذا أضعف المصادر وأقلها أهمية.

وبالنسبة للعملة النقدية الريفية وكذلك البنك المصرفي الريفي فلم يكن لها وجود أصلا في الريف إلا من خلال جهد رجال أعمال بريطانيا يدعى كاردنيار " M.Cordiner" فقد قام بطبع

[1] - أنظر الأمير: مصدر سابق ، ص. ص. 160-164؛ إسماعيل: مرجع سابق، ص. 37؛ العلمي: مرجع سابق ، ص. 28.

أوراق نقدية في لندن ونقلها إلى الساحل الريفي واقترح على الأمير محمد بن عبد الكريم ترويجها على غرار الدول الحديثة. لكنه قابله بالرفض وألقيت الأوراق في البحر والنماذج الموجودة حاليا أخذت من شاطئ البحر، وبقيت العملة الاسبانية البيزتا هي العملة الرسمية في الحكومة الريفية رغم أنه جرت محاولة لإصدار عملة نقدية عام 1924م ويكون مقر البنك في أجدير وتطبع الأوراق في بريطانيا لكن الظروف الحربية للدولة الريفية حالت دون تحقيق ذلك[1].

التعليم:

اهتمت حكومة الريف بالتعليم في المنطقة بعد أن كان هذا التعليم يقتصر على التعليم الديني التقليدي في المساجد فنظمته تنظيما حديثا على قواعد عصرية فبنت المدارس ليدخلها الأولاد الذين لم يصلوا إلى الخدمة الوطنية، ولأهمية هذه المؤسسة وحيويتها فقد كان الأمير هو المشرف على إدارتها رغم انشغاله بالحرب كما قام بإدخال الرياضيات والعلوم والقواعد العسكرية وهذا لتكوين إطارات واعية ومسلحة بالعلوم العصرية والمدارس هي[2]:

مدرسة أجدير: وكان يديرها الفقيه بن الحاج حدو من قرية أزغار وهو من علماء بني ورياغل واستقبلت الطلاب الذين كانت عندهم معرفة قبلية في التعليم التقليدي وكان الأمير يزورها كلما سمحت له الفرصة

مدرسة زاوية أدوز بقبيلة بقيوه: وكان يديرها الفقيه محمد شبال أحد علماء غمارة والأمير بنفسه أشرف على وضع منهاجها الدراسي.

كما أن التعليم الديني بقي في الصدارة وحظي باهتمام كبير، فأنشأ معهد ديني في شفشاون وعين فيه الفقيه العمري[3].

القضاء:

(1) - جوليان: مرجع سابق، ص. 73؛ الأمير: مصدر سابق، ص. 160؛ أنظر لصورة العملة التي وجدت على شاطئ البحر في (الملحق رقم05).
(2) - إسماعيل: مرجع سابق، ص. 37.
(3) - الأمير: مصدر سابق، ص.ص 166،167.

لقد كان القضاء من أهم المؤسسات المدنية في الجمهورية الريفية، خاصة وأن الأمير نفسه كان يشتغل في القضاء، إضافة إلى أن العدل كان له دوره في إخماد التناحر بين القبائل فجمع الشمل وتوحدت الكلمة، وحل الشرع محل الأعراف القبلية المبنية على الثأر وسفك الدماء. فقد كان عليه تكوين مؤسسة قضائية تعتمد على المحاكم الشرعية وتشمل جميع المناطق الريفية.

أسندت أعمال المؤسسة القضائية في الجمهورية الريفية إلى الفقيه محمد بن علي بو لحية الذي أسس مجلسا مركزيا للقضاء في البلاد سمي بمحكمة الشعب وجعل الشرع الإسلامي المرجع الرئيسي في مسائل القتل والخيانة والجرائم الاجتماعية كما تم تنصيب قاض على كل قبيلة ويكون من أهلها ويصدر أحكاما مستمدة من الشرع وحده، وكانت العقوبات تختلف على حسب التهمة أو الجريمة فبالنسبة للمتهمين بالتجسس أو الخيانة فكانت عقوبتهم الإعدام رميا بالرصاص أما القضايا الاجتماعية أو المتعلقة بالنظام العام فكانت عقوبتهم الحبس أو الغرامة المالية[1].

كما استحدث السجون ووضع لهم حرس خاص بهم ووضع نظام قضائي يحمي حقوق الإنسان، ويعتبر العمل الثأري عمل إجرامي يعرض صاحبه للمعاقبة والمتابعة القضائية، كما منع استعمال الذخيرة إلا لمحاربة المستعمر. ووجه جميع الغرامات لتغطية تكاليف الحرب[2].

وبفعل القضاء تحول الريف إلى أرض آمنة لا يخاف فيها أهلها لا على أنفسهم ولا أهلهم ولا أملاكهم.

(1) - نفسه، ص. 169؛ إسماعيل: مرجع سابق، ص. 134.
(2) - جوليان: مرجع سابق، ص. 35.

الصحة:

إن الأوضاع الصحية في المغرب كانت متدهورة جدا لانعدام الأدوية والأطباء والمستشفيات والاعتماد على الطب الشعبي فقط، وبالرغم ما غنمته القوات الريفية من أدوية وعتاد طبي في معركة أنوال فقد نفذت بعد سنتين لأن الحاجة كانت أكبر وازدادت وتيرة الحرب فيما بعد واستعملت الغازات السامة وامتدت الإصابات إلى النساء والأطفال والشيوخ إضافة إلى الحصار المفروض على الريف عن طريق الاسبان فازدادت الحاجة إلى العلاج، فاستدعي من فاس الطبيب المغربي المعروف باسم "المحبوب" الذي كانت إمكاناته محدودة في معالجة الأمراض لعدم وجود من يساعده وغياب أدوات العلاج والأدوية إلا أنه قام بمجهودات اقتصرت على التضميد ونزع الشظايا[1].

وبعد سنة 1925م ازدادت الحالة الصحية في المغرب سوءا لازدياد وتيرة الحرب بعد التدخل الفرنسي إلى الجانب الاسباني في محاربة الريفيين فازداد عدد الجرحى والقتلى وكان الريفيون في حاجة ماسة إلى المساعدة وينتظرون من يخفف عنهم مصائب الحرب من جمعيات الهلال الأحمر رغم ما ينص عليه الدين الإسلامي من أخوة وتعاون بين المؤمنين من غير تمييز في الوقت الذي كانت فيه جمعيات الصليب الأحمر من مختلف الجنسيات النصرانية تقوم بواجبها اتجاه الأسرى والجرحى الاسبان ويقدمون لهم كل ما يحتاجونه فيقول عبد الكريم "يسوءنا وأيم الحق أن نرى جمعية الصليب الأحمر من الأمم النصرانية من غير تمييز جنسية ولا قومية تهتم بجرحى اسبانيين وأسراهم الذين بقوا في أيدينا وتبعث لهم الكميات الوافرة من الدراهم وترسل لهم الأطباء ليقوموا بمداواة جرحى الاسبانيين، وليس لنا من جمعياتنا الخيرية من يصلنا"[2]

وبعد وصول البعثة الفرنسية التي وجهت من طرف الصليب الأحمر تحت إشراف طبيب فرنسي يدعى "كود" لمعالجة المرضى والجرحى الفرنسيين، فقد قدمت الكثير من المساعدات

(1) - الأمير:مصدر سابق، ص. 173.
(2) - ملحس: مصدر سابق، ص. 42.

للريفيين وقد تطلب الحال إلى التخطيط لإنشاء مستشفى في أجدير ويكون تحت إشراف الطبيب "كود" إلا أن ظروف الحرب أدت إلى فشل المشروع[1].

المواصلات:

لقد أظهرت الحكومة الريفية اهتمام كبير بهذا المجال في جميع نواحيه وهذا راجع لأهميته الكبيرة لمتطلبات الحرب من تنقلات للقوات والذخائر وربط المراكز الحربية والإدارية بالقيادة العليا في أجدير ولهذا بذلت الحكومة الريفية جهودا كبيرا في إصلاح الطرق وتعبيدها كما ربطت مختلف مناطق البلاد بالعاصمة أجدير عن طريق الأسلاك التلفونية.

عملت حكومة الريف على تعبيد الكثير من الطرق تحت إشراف موح موزور الأجدري وهذا لتسهيل المواصلات وسرعتها لنقل القوات المسلحة والذخائر كما شقت عدة طرق لربط العاصمة أجدير مع بقية مناطق البلاد فعبدت الطريق الواصل بين ترجيست والعاصمة أجدير وطوله 65 كلم وبين بني بويفرح والعاصمة وطوله 60 كلم كما تم العثور على وثائق من طرف الاسبان بعد انتهاء الثورة تنص على شق طريق يربط بين شرق البلاد وغربها وجنوبها من مليلة الى تطوان مرورا بترجيست باب تازه ثم شفشاون فتطوان على طول حوالي 30 كلم، وقد اتبع الاسبان هذا المخطط بعد الاحتلال[2].

كما تم استعمال الهاتف لتسريع تتبع العمليات العسكرية في جبهات القتال ومعرفة المواقف الحربية في كل جبهة إضافة إلى إيصال التعليمات والأوامر من القيادة العامة إلى المراكز الحربية والإدارية في البلاد، وتوفر الأجهزة والأسلاك التلفونية من المناطق الاسبانية وأيضا ما تم شراؤه من ناحية وجدة ومنطقة طنجة الدولية وقد تم الاستعانة بخبرات الأسرى الاسبان لإنشاء الشبكة الهاتفية في طول البلاد وعرضها [3] وساعدهم بعض الألمان والانجليز مثل الألماني "كليمس" والاسباني "انطونيو" الذي كان لهم دور فعال في إنشاء الشبكة التليفونية

---

[1] - الأمير: مصدر سابق، ص. 175.
[2] - نفسه، ص. 177.
[3] - نفسه ، ص. 179.

وكونوا مجموعة من الشباب الريفي لتسيير المشروع كما أنشأ مجموعة من الانجليز محطة راديو في أجدير لتتبع الأخبار في جميع جهات البلاد[1].

ولتنظيم الشؤون الإدارية والعسكرية للجمهورية عمد الأمير إلى إنشاء ما يعرف بالمحاكم لتكون حبل وصل بينه عن طريق وزرائه وبين أعيان الريف وغيرهم داخل البلاد وخارجها وقد تركزت في مناطق المهمة للبلاد ووزعت توزيعا استراتيجيا يتوافق ومناطق القتال، وكان على رأس جميع المحاكم المحكمة العليا التي أمر الأمير ببنائها في المكان المسمى "مزمة" بأجدير وأن تكون مرجع جميع المحاكم الأخرى وهي محكمة أخشاب أمغار بتمسمان وظهر دورها في تسيير خطوط الدفاع والهجوم في الجبهة الشرقية والمتعلقة بقبيلة بني سعيد وبني وليشك وتمسمان وبني توزين وبني بويحي والمطالسة. ومحكمة بني بويفرح وكانت مكلفة بتسيير العمليات الحربية وخطوط الدفاع والهجوم بالجبهة الغربية (غمارة وقبائلها). محكمة ترجيست في الجهة الجنوبية وقد برزت أهميتها أثناء الصراع مع الفرنسيين فيما بعد إضافة إلى محكمة ايت قمرة ومحكمة تعزوت[2].

وكانت المحكمة مقرا للباشوات (القائد العسكري للمنطقة) إضافة إلى المندوبين المسؤولين عنها، وهي مزودة بالحراس والكتاب والهواتف ومخازن السلاح وبالتالي أصبح هناك تنسيق وتقارب بين العسكريين والمدنيين[3].

---
[1] - العلمي: مرجع سابق، ص. 70.
[2] - سكيرج: مصدر سابق، ص.ص 28، 29.
[3] - الأمير: مصدر سابق، ص. 140.

الفصل الثالث

امتداد الحرب والتدخل الفرنسي

امتداد الحرب إلى الجهة الغربية:

في الفترة التي كان فيها الأمير يقوم بتشكيل جمهوريته كان يسعى جاهدا لضم الجهة الغربية وتشكيل جبهة واحدة للتصدي للغزاة وطردهم من شمال المغرب ككل، إلى أن حدث اجتماع في أجدير بين أعيان بني ورياغل مع نهاية عام 1921.في شأن تقدم الاسبان من جهة مليلة وأيضا طلب بعض رجال قبيلة غمارة معونة أعيان الريف ودعمهم لهم في مواجهة عدوهم المشترك خاصة بعد نجاح ثورتهم وهذا عن طريق الشيخ حمو بن العيساوي من قبيلة متيوة الريف التي تقع في الحدود الشرقية لقبائل غمارة، ووقع اتفاق أعيان الريف أن يذهب الأمير إلى الجهة الشرقية باتجاه مليلة لمعاينة الأوضاع في خصوص تقدم الاسبان ويذهب أخوه إلى الجهة الغربية " قبائل غمارة " أما السيد أزرقان فبقي في أجدير[1].

توجه الأمير إلى الجهة الشرقية:

عندما توجه الأمير إلى الجهة الشرقية على رأس جيش مكون من حوالي ألف مجاهد ووصوله إلى مشارف مليلة كانت القوات الاسبانية قد استرجعت الناظور وحصنت جميع خطوط الدفاع عن مليلة وهذا بفضل جهود المندوب السامي الجنرال برينجر، حيث في الوقت الذي كان فيه الأمير منشغل بتشكيل جمهورية كان هو يسعى جاهدا لاسترجاع المناطق التي زحف عليها الريفيون حتى مليلة وإنقاذ القوات المحاصرة فيها لكن بعد تحصين الناظور وبعض المناطق ذهبت تحضيراته في إكمال مهمته أدراج الرياح، فمع بداية عام 1922 جاء خبر عزله وتعويضه بالجنرال "برانغوير" كمندوب سامي وحاكم عسكري عام في الشمال المغربي والذي كان أول إعلان له هو نشر الأمن في البلاد الريفية إلى درجة يصبح الذئب فيها يرعى مع الغنم، لكن مع وصوله إلى مقره في المغرب بدأ في إعداد الخطة اللازمة لقمع الثورة التي امتدت في الشمال المغربي[2].

---

(1) - سكيرج: مصدر سابق، ص.ص 29، 30.

(2) - ملحس: مصدر سابق، ص. 50.

هنا وجد الأمير نفسه في وجه جنرال جديد في لهفة للقضاء على الثورة. على رأس جيش مقدر بمائتي ألف جندي مسلح، إضافة إلى المعدات المتطورة والمتوفرة، مقابل بضعة عشر ألف من القوة الريفية فحدثت معارك طاحنة وقد حققت فيها القوات الاسبانية تقدما في الأراضي الريفية بحيث احتلت معظم قبيلة كلعية كما أصيب عدد كبير من الريفيين وتراجعت القوات الريفية إلى داخل الريف مع أن النصر كان تارة حليف الريفيين وتارة حليف الاسبان، وقد استعمل الاسبان الطائرات لرمي الريفيين، وبقيت الحرب على هذه الحال إلى غاية منتصف شهر فيفري حيث هجم الريفيون هجمة رجل واحد أدت إلى اندحار الجيوش الاسبانية وعودتها إلى نقاط البداية بعدما ألحقوا بها خسائر فادحة بشريا وماديا، وعلى هذا الأثر عقدت الحكومة الاسبانية مجلسا حربيا في مدينة بيثارا الاسبانية لدراسة الأوضاع التي يجب اتخاذها في البلاد الريفية[1].

مؤتمر بيثارا:

نتيجة للهزائم المتتالية للجيوش الإسبانية وعدم قدرتها على تحقيق أي نتيجة إيجابية في إقليم الريف إلى غاية هذا الوقت، كان له أثره في دعوة الحكومة الإسبانية إلى عقد مؤتمر حربي في نهاية شهر فيفري من سنة 1922م، جاء في قراراته وقف عمليات الزحف ومحاولات التوسع واستعمال القوة العسكرية. ومباشرة الطرق السلمية مع الريفيين والتفاوض معهم للوصول إلى حل يرضي الطرفين، وعلى إثر ذلك سافر رئيس الحكومة الإسبانية إلى مالقة واستدعى الجنرال "برانغوير" مع قادة حربه وأبلغه بقرارات المؤتمر إلا أن هذا الأخير رفض هذه القرارات وأصر على متابعة الحرب، فكانت معركة الحسيمة[2].

---

[1] - ملحس: مصدر سابق، ص51، للتفصيل أنظر سكيرج: مصدر سابق، ص.ص.30،31.

[2] - أنظر ملحس: نفسه،ص.51؛ الأمير: مصدر سابق، ص.109؛ ثابت: مصدر سابق، ص.39.

معركة الحسيمة:

أخذ الجنرال "برانغوير" في تحضير هجوم جديد، بإنزال خمسين ألف مقاتل إلى الحسيمة. ومن جهة مليلة قام بحشد عدد كبير من الجنود ليتم التطويق على أجدير ومداهمة عبد الكريم في مقره وفي 10 مارس بدأ الزحف الاسباني واستولوا على مواقع الريفيين في الخط الأول، إلا أنهم لم يستطيعوا تجاوز الخطوط الدفاعية التي تلتها وقاتلوهم قتالا عنيفا أدى إلى ارتدادهم وجلاءهم عن الخطوط التي احتلوها. بعدما كبدوها خسائر قدرت بآلاف القتلى والجرحى، وفي 25 مارس كان هناك هجوم موحد من طرف الريفيين ضد الاسبان واشتدت المعركة حول الحسمية وكان للمدفعية دورا هاما وكبيرا في ترجيح الكفة فقد ألحقت بالجيوش الاسبانية خسائر فادحة ودمرت جميع التحصينات العسكرية، وقد دامت المعركة أسبوعا كاملا كان النصر فيه حليف الريفيين، وقدرت الخسائر الاسبانية بخمسة ألاف قتيل وثلاثة ألاف أسير، كما غنم الريفيون كميات كبيرة من العتاد الحربي، وفي هذه المعركة أصيب الجنرال "برانغوير" إصابتين خطرتين في صدره فسافر على إثرها وغادر مكان القتال نهائيا، وقرر من بقي خلفه من القادة التوقف عن القتال وحشد القوات لكن الريفيين واصلوا هجومهم ودمروا كل ما كان للاسبان من مراكز كما أغرقوا معظم السفن وعطلوا بعضها، واشتركت سفينة ريفية في هذا الهجوم وأطلقت قنابلها على الجزر الاسبانية القريبة من الشاطئ وعلى هذه الأحداث التي أحدثث هولا في اسبانيا سارعت هذه الأخيرة إلى عقد هدنة تكون أساسا لعقد صلح[1].

طلب الصلح:

نظرا لما وصلت إليه اسبانيا من اندحار في المغرب وما كان له من رد فعل داخلها خاصة من طرف الشعب والصحافة فلم تجد غير اللجوء إلى الثري "شيفاتا" ليتكفل بالتفاوض مع الأمير في عدة أمور أولها عقد الصلح وثانيها إطلاق سراح الأسرى الاسبان فسافر إلى أجدير للتفاوض مع الأمير إلا انه بعد لقاءات متكررة أسفرت على عقد هدنة وتوقيف القتال

[1] - ملحس: مصدر سابق، ص؛ 51. ثابت: مصدر سابق، ص. 40.

مؤقتا وإطلاق سراح الأسرى الاسبان مقابل مبلغ تدفعه الحكومة الاسبانية للحكومة الريفية قدر بأربعة ملايين بيزتا وتسريح جميع المساجين الريفيين الذين تم القبض عليهم ومع أن مدة الحوار حول عقد الصلح وإنهاء الحرب دامت طويلا إلى غاية جوان 1923 إلا أنها لم تسفر على أي شيء جديد لأن الأمير كانت له شروط ملتزم بها وهي الاستقلال التام للريف أما اسبانيا فكانت تصر على منح الريف استقلالا داخليا وهذا ما أدى إلى فشل المفاوضات ومباشرة الحرب[1].

نعود الآن للتكلم على ما حدث في الجهة الغربية بتوجه أخ الأمير إليها.

لقد وقعت عدة مراسلات بين الأمير والريسوني باعتباره الحاكم الثوري لمنطقة جبالة والذي فُك حصاره في آخر لحظة نتيجة لانتصار الريفيين ووصولهم إلى مدينة أنوال وبالتالي تراجعت القوات الاسبانية عنه بعد ما كانت على بعد ستة كيلومترات من مقره في "تازروت" وأعطى له الجنرال "بيرنجر" مهلة للاستسلام تنتهي يوم 11 جويلية 1921م، و كانت مراسلات الأمير مفادها التعاون كجبهة واحدة لطرد العدو من الشمال المغربي ككل وقد رحب الريسوني بهذا التعاون وبالجهود الجبارة التي يبذلها الريفيون لتطهير منطقة الجبالة كما طهر الريف. كما سر بتقديم المساعدات لهم، وقد طلب الأمير من الريسوني الإشارة عليه في الطريقة المثلى والصالحة للتقدم لمدينة شفشاون باعتباره العارف بها وبأهلها وأجابه الريسوني بأن عليه الدخول إلى قبائل غمارة والسيطرة عليها إلى أن يصل إلى بني سجيل حيث سيلتقيهم هناك وأن سبب تأخره هو المرض، كما حذره بأن أغلب زعماء غمارة لهم ميل للعدو ومشهورين بحبهم للطمع عندما يغرونهم الاسبان بالمال[2].

توجه السيد محمد أخ الأمير مع بعض الأعيان على رأس جيش مؤلف من حوالي ستمائة مقوما أغلبهم من قبيلة بني ورياغل وعندما دخلوا تراب غمارة وأقاموا بقبيلة بني زياد بدأوا في مهاجمة العسس الاسبانية الواقعة على شاطئ البحر والممتدة إلى تطوان (أمتار، تجيساس،

---

[1] - ملحس: مصدر سابق ، ص.52؛ الفاسي: مصدر سابق، ص.128.
[2] - الأمير: مصدر سابق، ص.ص 106، 221، من بين الرسائل التي دارت بين الريسوني والأمير، أنظر في (الملحق رقم: 06)

ترغة، قاع أسراس، واد لو، تولامبوط، وغيرها ...) ولم ينظم إليهم من القبائل الغمارية إلا القليل ومع ازدياد مدة الحصار على بعض العسس في قبيلة بني سعيد وقطعت جميع الإمدادات البرية عليهم لم يبقى للاسبان إلا تموين العسس بالطائرات، غير أن الريفيين لم يصمدوا في محاصرة هاته العسس لأن القبائل الغمارية لم تمد لهم يد المساعدة بحيث لم يبيعوا لهم حتى الخبز بعدما أغراهم الاسبان بالمال وأمروهم بطرد الريفيين من بلادهم لأنهم يعتبرون دخلاء في أراضيهم. إلا أن إصرار الريفيين ومن انظم إليهم من قبائل المنطقة أمثال قبائل بني خالد وبني زجل وبني حسان وغيرهم وقدوم المدد من القبائل الريفية قبيلة بني يطفت وبني بوفرح جعلهم يشنون الغارات على المراكز الاسبانية التي تقع في قبائلهم فيحتلونها ويستولون على ما فيها، ومع كل تقدم يحرزه الريفيون في المنطقة يجدون دائما اعتراضا من طرف بعض القبائل التي تلين للإغراءات الاسبانية[1].

مواصلة الحرب:

بعد فشل محاولة عقد الصلح والتي دامت طويلا بين الطرفين باشرت القوات الريفية عمليات التحرر وتابعت هجماتها في الجهة الغربية إبتداء من 7 جوان 1923 بقوة قدرت بسبعة آلاف مجاهد فحققوا انتصارات كبيرة على القوات الاسبانية التي بلغ عددها ثلاثون ألف مقاتل خسروا منها ألفا بين قتيل وجريح بعد معارك شديدة تقدم فيها الريفيون إلى الأمام ناحية خط تطوان شفشاون.وبعدها هجم الريفيون على مدينة (داغيت) حيث وقعت معارك طاحنة.وألحقت بالاسبان خسائر فادحة قاربت خسائر معركة أنوال وما شاع الخبر في اسبانيا حتى عقدت عدة اجتماعات وتأكدت بأن وضعها بالمغرب ليس بالأمر الهين فأرسلت وفدا إلى تطوان للتفاوض مع الأمير محمد بن عبد الكريم في عقد صلح[2].

[1] - للتفصيل أنظر اللوه: مصدر سابق، ص.275؛ سكيرج: مصدر سابق، ص.ص 35، 36،45، 46.
[2] - ملحس: مصدر سابق، ص. 52.

مفاوضات تطوان:

سافر الوفد الاسباني إلى تطوان في شهر جويلية 1923 وأرسل إلى الريف ليبعث بوفد ينوب عنه إلى تطوان لدراسة الأوضاع و الوصول إلى حل ينهي الحرب بين الطرفين فأرسل الأمير اثنين من رجاله وبعد عدة اجتماعات انتهت المفاوضات دون الوصول إلى حل نهائي يفصل في القضية وهذا لأن المطالب الريفية مرتبطة دائما بعناصر الميثاق القومي المبني أساسا على الاعتراف الاسباني بالاستقلال الكامل للريف وعدم الاعتراف بمعاهدة الحماية الاسبانية[1].وقد دارت بين سكرتير الوفد الاسباني ووزير خارجية الريف اتصالات [2] للوصول إلى حل نهائي.لكن المطالب التي يعتمد عليها كل طرف تتناقض فيما بينها ففشلت المفاوضات وعاد الوفد إلى بلاده.

بعد انتهاء مفاوضات تطوان جاء خبر عزل المفوض السامي.وتعويضه بـــ (إيشاغ) الذي بعد تنصيبه استقبله الريفيون بهجوم موحد في منتصف شهر أوت في الجهة الشرقية وعلى السواحل .وحاصروهم حصارا شديدا ومنعوا عنهم الإمدادات وجرت بينهما معارك ضارية أدت إلى إبادة جيش العدو عن آخره [3].كما امتدت الثورة إلى القبائل الواقعة غرب تطوان أي القبائل الجبالية.حيث ثارت على الغزاة بعدما علموا ما يقوم به رجال الريف من تحرير للقبائل الغمارية فسارت على نهجهم وأخذوا يهجمون على جميع المراكز العسكرية التي في قبائلهم فيحتلونها ويستولون على ما فيها متبعين أسلوب حرب العصابات .وأعلنوا انشقاقهم عن الرسيوني وأخذوا في ربط الصلة بالجيوش الريفية التي وصلت قبائل غمارة .كما أن هاته الهجومات التي قاموا بها خففت من حدة المواجهة التي كان الغزاة يواجهون بها أبطال الريف في غمارة.وبالتالي دنت الحملة الريفية من تطوان بعدما استولوا على معظم المراكز من جهة الشاطئ و وصلوا إلى الجبال المطلة على شفشاون[4].

---

[1] - ملحس: مصدر سابق، ص. 53؛ سكيرج: مصدر سابق ، ص.114.
[2] - ملحس: نفسه،ص. ص. 53-57.
[3] - نفسه ، ص.57.
[4] - اللوه: مصدر سابق، ص. ص.276،277؛ النجاح: العدد 192، 23 جانفي 1925.

وعلى اثر هذه الأحداث تحركت القوات الاسبانية في 23أوت لوقف زحف الريفيين الذي قارب خط تطوان شفشاون بقوة قدرت بثمانين ألف جندي فيما كان عدد القوات الريفية وما انظم إليهم من القبائل الغمارية أربعة عشر ألف وفي 25أوت اشتبك الجيشان في مدينة تفارين ووقعت معارك عنيفة كان للنساء نصيب فيها في القتال وفي تشجيع الرجال على الصمود والحرب وبعد معركة دامت تسعة ساعات تم إجلاء القوات الريفية من المدينة .وأعتبر هذا الجلاء وفك الحصار على مدينة تفارين انجاز ونصر كبير للقوات الاسبانية بعدما خسرت ثلاثة آلاف قتيل ومثلها أسرى .غير أن الريفيين فيما بعد أعادوا الهجمات واحتلوا معظم الأماكن وضيقوا الحصار على الأماكن الأخرى .وتسلل معظمهم إلى مدينة تطوان وأحدثوا فيها فزعا كبيرا[1].

وبما أن الحرب الريفية التي عمت شمال المغرب صارت الهاجس الوحيد الذي تعاني منه اسبانيا وعدم قدرتها على بسط نفوذها على شمال المغرب وما انعكس عليها من سلبيات داخلها، جاء انقلاب "بريمودي ريفيرا".

[1] - أنظر سكيرج: مصدر سابق، ص. 115؛ ملحس: مصدر سابق، ص.58.

انقلاب بريمودي ريفيرا

نتيجة للأوضاع المزرية التي وصلت إليها الحكومة الاسبانية من جراء انعكاسات حربها مع الريفيين والقرار الذي اتخذته والمتعلق بتجنيد فيالق عسكرية إضافية للقضاء على الثورة وهذا ما ترتب عنه الموقف السلبي للرأي العام الاسباني إضافة إلى زيادة النفقات التي تتطلبها .جاء قلب نظام الحكم الدستوري إلى نظام حكم عسكري دكتاتوري بقيادة "بريمودي ريفيرا" والذي نصب رئيسا للوزراء يوم 13سبتمبر 1923 والذي أعلن بأنه سيقضي على الفساد الداخلي والقضاء النهائي على الثورة الريفية بأسرع وقت ممكن وأن يحفظ كرامة اسبانيا[1].

وفي ربيع سنة 1924 زحف الأمير بقواته إلى الجبهة الشرقية من أجدير قاصدا مليلة كما بعث بفرقة إلى الجهة الغربية ناحية تطوان لشد أزر إخوانهم ، وقد عبر الأمير خطوط العدو بعد مشادات كبيرة إلى أن أصبح على أبواب مليلة وفي الجهة الغربية تم اجتياز خطوط الاسبان في مدينة (تزيارة) ومحاصرتها حوالي شهر وقد تكبد الاسبان خسائر فادحة [2] كما قام الاسبان في الجهة الشرقية بهجوم شديد حول مركز سيدي مسعود الواقع بين قبيلتي بني سعيد وتمسمان إلى غاية مليلة وقابلهم الريفيون بالمثل وصمدوا في مواقعهم وبالرغم من استعمال الاسبان الطائرات لإجلاء الريفيين من مراكزهم إلا أنهم لم يستطيعوا وقد كانت الخسائر كبيرة في الجانبين[3].

وفي الصيف أوكل الأمير إلى أخوه ووزير خارجيته بتأليف جيش والتوجه ناحية غمارة للوقوف على الأحداث هناك. وشد أزر إخوانهم ،فتوجه السيد محمد أخ الأمير ومن معه واجتمعوا مع قادة غمارة الذين كانوا قد انظموا لهم في موقع (تيكيساس) من قبيلة بني بوزرة من غمارة وبقوا يضعون الخطط ويدرسون الأوضاع وينتظرون الأوامر للهجوم على العسس الاسبانية المتبقية .وجاء الأمر من وزير الخارجية .السيد محمد أزرقان أن يبدأ بحصار العسس الممتدة من جبل تالمبوط من قبيلة بني سجيل إلى قبة دارسة في غمارة من قبيلة بني سعيد

(1) - للتفصيل أنظر ثابت: مصدر سابق، ص.ص.50- 54؛ الأمير: مصدر سابق، ص.116.
(2) - ملحس: مصدر سابق، ص. 59.
(3) - سكيرج: مصدر سابق، ص. 76؛ اللوه: مصدر سابق، ص.281.

وعددها ثمانية عشر مركزا كما قطعوا جميع الطرق المؤدية إليهم بحصار الشواطئ البحرية في قبيلة أدلاو ومقاطعة الطريق في قبيلة بني حسان على النجدة الاسبانية الآتية من تطوان وأيضا قطع الطريق الواصل من شفشاون الى هذه العسس ،حتى لا يمكن لهم إغاثة العسس المحاصرة، وقد ضاق الحصار على العسس وسقط بعضها على يد المجاهدين بعد وقوع خسائر من الطرفين[1].

وفي هذه الأثناء حضر الجنرال "بريمودي ريفيرا" إلى المغرب ولاحظ بنفسه من مركز أدلاو ما يحدث للعسس التي انقطعت عن سائر القوات الاسبانية وما تفعله الطائرات والمواكب الحربية جاهدة بإطلاق القذائف لتشتيت الريفيين ولكن بدون جدوى .وبقيت العسس تحت الحصار الشديد ولم يستطع الاسبان تموينها ، وبعد خسائر كبيرة استطاعوا تموين بعضها من جهة البحر وعقد "بريمودي ريفيرا" اجتماع في تطوان حضره أثنى عشر قائدا من قوات الجيش و تطرقوا إلى التدابير التي يجب اتخاذها في مواصلة الحرب وتوصلوا إلى زيادة عدد العساكر وهذا بإرسال جميع ما للاسبان من جيوش إلى المغرب وتهديد جميع من يساعد الريفيين بتدمير قراهم ومداشرهم وأهم عنصر هو الانسحاب من المواقع الواقعة داخل البلاد الجبالية[2].

لقد طالت مدة الحصار نحو أربعة أشهر على أغلب العسس بالرغم من إخلاء جميع المراكز الداخلية ، وقد قامت في وجه الجيوش الاسبانية جميع القبائل الجبالية عند انسحابها من شفشاون ومن المراكز المنتشرة هناك وفتكوا بهم والحقوا بهم ذعرا كبيرا واستحوذوا على عتادهم الحربي وأعلنوا انضمامهم للريفيين .وطاعتهم للأمير[3].

لم يوفق الجنرال "بريمودي ريفيرا" في المغرب كما كان يخطط له ووقعت حكومته في أزمة لم تقع فيها من قبل بعد مضي سنة عليها وبالتالي تحتم عليه أن يعود إلى المغرب ويستلم زمام الأمور ويشرف على الأعمال العسكرية بنفسه في سبتمبر 1924، إلا أن حالة الاسبان في المغرب بقيت على ما هي عليه أو أكثر سوءا إلى غاية شهر نوفمبر حيث قرر بعدها عقد

(1) - سكيرج: مصدر سابق، ص.ص.83، 84.
(2) - ملحس: مصدر سابق، ص. 62.
(3) - أنظر سكيرج: نفسه ، ص. 85؛ ملحس: نفسه ، ص.ص 63، 64؛ اللوه: مصدر سابق، ص.277.

مجلس حربي في تطوان بأن يكون الجلاء على جميع المناطق الداخلية والاكتفاء بالحفاظ على المناطق الساحلية فقط وهذا يؤمن للاسبان سلامة المواصلات بين تطوان وطنجة والعرايش وفي جهة مليلة أمر الجنرال "بريمودي ريفيرا" برجوع القوات الاسبانية إلى حوالي عشرون ميلا غرب مليلة[1].

لقد كان هذا القرار هو الخطة الوحيدة التي لجأ إليها "بريمودي ريفيرا" لإنقاذ جيشه واسبانيا ككل من نكبة لم تكن بعيدة عنها ،كما أنه حقق شيئا في نفس الريفيين بجلاء القوات الاسبانية، وغاية الجلاء هو تخفيض عدد الجند الذين كانوا مكلفين بحماية المراكز الداخلية وهذا ما يرافقه تخفيض نفقات الحرب التي أثقلت ميزانية الحكومة[2].

وبما أن الجلاء يتبعه فتك من طرف الريفيين فطلب "بريمودي ريفيرا" مفاوضة عبد الكريم في عقد هدنة ليتم الجلاء بدون خسائر ، فانتدب السيد "شفاتا" الثري الاسباني لمفاوضة الأمير، فقبل الأمير وأرسل صهره السيد محمد بن محمادي كمندوب عن الحكومة الريفية الذي رفض أن تكون شروط المفاوضة من طرف اسبانيا باعتبارها منهزمة والحكومة الريفية منتصرة ولذلك طلب غرامة وتعويضات واشترط لعقد الهدنة تنفيذ المواد التالية:

1 – أن تدفع اسبانيا عشرين مليونا من الجنيهات تعويضات.
2 – أن تسلم اسبانيا لحكومة الريف خمسة عشر طائرة، ومائ ة ألف بندقية، ومائة وعشرين بطارية مدافع جبلية .
3 – أن يجلوا الاسبان عن مراكش إلى حدود مليلة وسبتة .
4 – إذا قبلت اسبانيا شروط هذه الهدنة سيبحث في الصلح ومبادلة الأسرى[3].

لكن الاسبان رفضوا هذه الشروط وطلبوا بقطع المفاوضات . وباشرت القوات الاسبانية الانسحاب من مائتي مركز من مراكز الريف إلى غاية عشرين من ديسمبر وهذا آخر يوم

(1) - ثابت : مصدر سابق، ص. ص. 53- 56؛ أنظر النجاح: العدد 192، 23 جانفي 1925م.
(2) - نفسه: ص. 57.
(3) - ملحس: مصدر سابق، ص.60.

للانسحاب وقد لاقوا صعوبات كثيرة .بحيث قتل وأسر منهم عدد كبير من الجنود إضافة إلى المعدات الحربية من أسلحة ومدافع وأدوات تليفونية وغيرها التي غنمها الريفيون [1]. وبقي المجاهدون قائمون في وجه أعدائهم إلى أن قامت في وجههم قبيلة الأخماس الموالية للريسوني بتحفيز من الاسبان. التي دعمته بالمال والعتاد للوقوف في وجه الأمير.

الصدام مع الريسوني:

بعدما قبل الريسوني التعاون مع الأمير في مواجهة الغزاة، تغيرت الأمور فيما بعد وجرت عكس ذلك، فبعد قيام قبائل جبالة ضد الاسبان وأعلنت انفصالها عن الريسوني وطاعتها للأمير، ساءت العلاقة بينهما آخر الأمر حيث وقعت بينهما رسائل بدأها الريسوني بأنه لامطمع له في توحيد الكلمة معه إلا أن الأمير خاطبه بجواب هدده فيه بأنه سيستولي على عاصمته "تزروت"[2]

وعند قيام قبيلة الأخماس في وجه الريفيين بإيعاز من الريسوني، جاءت آخر محاولة لتفادي الحرب معه، فبعث أخ الأمير الذي كان في قرية تغزوت في بني حسان، أحد قادته وهو محمد بن علي بولحية بأن يعقد اجتماعا مع الريسوني في شأن التعاون وتوحيد الصف والابتعاد عن الاصطدام إلا أن هذا الأخير لم يرد عنهم أصلا، وبالتالي لم يبقى أي سبب لمواجهة قبيلة الأخماس التي وقفت في طريقهم، فبعث أخ الأمير من يوقفهم فكان الهجوم على القبيلة في 28 جمادي الثانية 1343هـ الموافق لـ جانفي 1925م، وحرقوها ولم يبقى لهم إلا محاربة الريسوني في قصره في "تزروت"، الذي كان يعاني المرض والكبر في السن والذي لم يبقى له إلا عدد قليل من الموالين له من الجنود الذي أمرهم بحراسة جميع مداخل القرية، إلا أن قوة الريفيين جعلتهم يدخلون القرية بعد صراع مميت وهرب من بقي إلى القصر ليحتموا به، ولولا الكبر والمرض اللذان أقعدا الريسوني لما كان حوصر داخل قصره. لقد حاصر الريفيون القصر وأعطوا السلام والأمان لما بداخله إن سلموا السلاح، فاستسلم من كان داخل القصر

---

(1) - ملحس: مصدر سابق ص. 60، أنظر الخريطة التي تبين انحصار القوات الاسبانية على السواحل في (الملحق رقم: 07)

(2) - اللوه: مصدر سابق، ص.243.

وأخذ الريسوني محمولا إلى الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي وبقي هناك مدة إلى أن وافته المنية في 09 رمضان 1343هـ الموافق لأفريل 1925م[1].

بعد القضاء على الريسوني ومحاصرة الاسبان، توجهت أنظار الأمير إلى تطوان وطنجة وسبتة إلى أن جاءه خبر تداخل القوات الفرنسية على الحدود الجنوبية فوجه اهتمامه إليها.

(1) - اللوه: مصدر سابق، ص.ص.244-247؛ النجاح: العدد 194، 06 فيفري 1925م.

فرنسا والريف:

لقد كانت فرنسا تقف موقف الحياد تجاه ما يجري وما يحدث للاسبان من اندحار، وكانوا يتظاهرون بالعطف على الريفيين في الوقت الذي كانوا فيه يعانون الحصار . فقد كانوا يسمحون بمرور البضائع من منطقتهم إلى الريف كما كان البعض من الريفيين يتسللون إلى الجزائر ليقوموا بالعمل هناك لدى الفرنسيين لكسب المال وإرساله إلى ذويهم بالرغم من أن الأمير كان يمنعهم للاحتياج الكبير لحاملي السلاح في ساحة الحرب[1].

وبعد معركة أنوال أخذ المقيم العام المارشال ليوتي يضع احتياطاته ويحذر الحكومة الفرنسية من قيام حكومة حرة في شمال المغرب تكون خطرا على تواجدهم في المغرب لأنها ستكون مثلا ومحفزا للذين يريدون الاستقلال في إفريقيا بحيث إن نجاحها سيكون أول شرارة تندلع بعدها الثورة في تونس والجزائر وجميع المناطق المستعمرة ككل، وقد صرح ذلك بقوله "لا يمكن أن يكون هناك أخطر على نظامنا من إنشاء دولة إسلامية وحديثة على مقربة من فاس، جاعلة من عبد الكريم قطبا جاذبا لا فقط للمنشقين (الخارجين) من أتباعنا بل ولهذه العناصر المغربية والشابة منها على وجه الخصوص التي وسعت مداركها المستقبلية"[2].

كما أن الأمير نفسه كان يعلم بنوايا الفرنسيين ويذكر قومه دائماً بعدم التداخل مع فرنسا مهما كانت الأسباب وأن يتصرفوا بحكمة وقد صرح في أول خطبة له بعدما تمت مبايعته من طرف رجال الريف قائلا: " إننا نعمل مجهودنا مع الدول التي تريد الانتصار لإسبانيا استقبالا، وخصوصاً فرنسا، فلا نحاربها ولا نعاديها ما أمكننا من جميع الوجوه ونستعمل الوسائل التي تضمن السلم التام معها"[3].

وقد ظهرت جهود عبد الكريم في الإجراءات التي اتخذها بعد تحرشات الفرنسيين على الحدود وعلى القبائل المجاورة لها بداية من عام 1922. فأوكل الأمير هذه المهمة لوزير خارجيته السيد محمد أزرقان لينظر في حل المشكلة، فذهب إلى وجدة ثم إلى تازة مع جماعة

(1) - اللوه: مصدر سابق، ص. 282.
(2) - الأمير: مصدر سابق، 182.
(3) - سكيرج: مصدر سابق، ص. 52.

من الأعيان ليتكلم مع حكامها على أن الأمير يخبرهم بأن نوايا الريفيين حسنة ولا يريدون إلا الخير مع فرنسا غير أن ما لاقاه من معاملة، بين له أن المخابرة معهم لا تجدي نفعا فذهب إلى فرنسا ليتم مهمته التي أوكل لها، فسافر إلى باريس عن طريق وهران فمرسيليا ولم يجد أحد يجتمع معه ويخبره بمسعاه إلا رئيس الاستعلامات المغربية الكولونيل"هيو" الذي استقبله استقبالاً حاراً وتكلم معه في خصوص العلاقات بين الريف وفرنسا وأن الريف يجب أن يكون في خير دائمٍ مع فرنسا فعاهدهم بأنه سيعمل اللازم في ذلك وسيجدون الخير في المستقبل ثم عاد للريف[1].

وبما أن الفرنسيين أغلقوا حدودهم أمام الريفيين في إمكانية الحصول على الأغذية والمؤونة وغيرها من ضروريات الحياة، إضافة إلى المضايقات وتقدمهم إلى بعض القبائل واحتلالهم منطقة وادي ورغة من الشمال الشرقي من فاس، بحجة حماية المنطقة من عواقب الثورة الريفية إلا أن الأمير بذل كل مجهوداته لتجنب الصدام معهم وبعث أخوه السيد محمد على رأس وفد إلى فرنسا لكسب عطفها وبقي فيها حوالي ثمانية أشهر من نهاية عام 1922 إلى منتصف عام 1923 ليوضح للدولة الفرنسية بأن الريفيين لا يريدون إلا السلام معهم وهم راغبون على أن يحافظوا على حسن الجوار والتعاون. إلا أن هذه الجهود باءت بالفشل وعاد الوفد إلى الريف وظهر من الفرنسيين الحقد على الثورة الريفية والميل إلى الاسبان، كما بعث الأمير وفدا إلى انجلترا برآسة صهره بوجيبار للتعريف بالقضية الريفية وآمالها أمام رجال الدولة الانجليزية لإنصافها ومساعدتها لتحقيق ما تطمح إليه لأن الريفيين همهم هو طرد الغزاة والعيش في وطنهم في حرية واستقلال وسلام ويرغبون في الحفاظ على حسن الجوار إلا أن هذا الوفد مني بالفشل أيضا[2].

لقد كان الأمير يعلم نوايا فرنسا بالرغم من كل محاولاته في مجاملتها وهي لا تريد إلا مناصرة الاسبان في كل جهة وكل مكان، وبالرغم من احتلالهم جزءا من واد ورغة فقد كان يوصي رجاله بأن يفعلوا المستطاع للحفاظ على العلاقات السلمية معها وعدم التدخل والهجوم

---

[1] - سكيرج: مصدر سابق، ص.ص 33، 34.

[2] - أنظر الأمير: مصدر سابق، ص.ص. 183،184؛ اللوه: مصدر سابق، ص. 185؛ ثابت: مصدر سابق، ص. 97.

على المناطق التي دخلتها إلى أن تبدأ هي بالهجوم وبالتالي يلجؤون بالدفاع عن أنفسهم، لأنه كان يدرك وهو في صراعه مع الاسبان خطورة الاشتبا ك معهم لأنه لا يستطيع مقاومة دولتين إلا أنه اتخذ احتياطاته في حالة العدوان الفرنسي إذ أقام الخطوط الهاتفية على الحدود معها لتسريع الاتصالات كما أمر بإحصاء العدة ليكون للمجاهدين عدد وافر من الأسلحة لمقاتلة أعدائهم في حالة تدخلهم[1].

وبالفعل استغل الفرنسيون في ماي 1924م انشغال الأمير بمحاربة الاسبان وقام بالتقدم إلى قبيلة صنهاجة والاستلاء على الجهة الغربية لورغة، لأن منطقة ورغة تعتبر موردا اقتصاديا مهما للقمح بالنسبة للريفيين وهذا لخصبة تربتها وجودة محصولها ووفرته، وقد استاء الأمير من هذا التقدم دون علمه واهتم بالتحصينات أمام المناطق التي تقدم منها الجيش الفرنسي الذي وصل صنهاجة وقبيلة مزيات حتى وصل حدود قبيلة بني زروال[2].

ومع وصول الأخبار إلى الأمير بأن فرنسا عازمة على احتلال بني زروال كما فعلت مع القبائل الأخرى وكانت هاته القبيلة تطلب الدعم والانضمام إلى الأمير، فأرسل ستمائة مجاهدا إليها ووضع حدا لما يفعله عبد الرحمان الدرقاوي من مساندة لفرنسا وتهييج أفكار المجاورين من القبائل لمقاتلة المجاهدين إلا أن هذا الأخير عندما سمع بوصول المجاهدين فر مع عائلته إلى فاس وتدخلت الطائرات الفرنسية تطلق قنابلها على القبيلة بعدما علمت ما حدث من تدخل الجنود الريفية إليها وقد وصل الخبر إلى الأمير الذي وجه أخاه إلى تلك الجهة وكلفه بقيادة القوات الريفية وتنظيم عملية الدفاع فيها[3].

لقد أخذت قيادة الريف في أخذ احتياطاتها واستعدادها لمواجهة العدوان الفرنسي في حالة تقدمه وأصدرت تعليمات إلى رؤساء القبائل في أخذ استعدادهم الدائم لمواجهة العدو وتطبيق عدة التزامات منها تغيير سن التجنيد العام الذي كان ما بين تسعة عشر والستين سنة إلى ما بين خمسة عشر والخمسة والستين وتقديم أسماء القادرين على حمل السلاح وإحصائهم في المناطق التي انضمت إلى الدولة الريفية وتدريب جميع المجندين على استعمال جميع الأسلحة إضافة إلى

[1] - سكيرج: مصدر سابق، ص.ص 72، 73.
[2] - نفسه: ص. 82؛ ثابت: مصدر سابق، ص. 61 ؛Julien , **Le Maroc**, OP, CIT P 125
[3] - سكيرج: نفسه ، ص. 89.

مراقبة الحدود وصيانة الأسلحة والاقتصاد في استعمالها في الأفراح والأعياد والاقتصاد أيضا في استهلاك المواد الغذائية والمؤن واستخدامها عند الحاجة[1].

أما الفرنسيين فاخذوا يبررون عدوانهم على أنها تقاوم الريفيين في الشمال دفاعا عن حقوقها الشرعية وعن مصالح السكان الذين وثقوا بها [2]. أما ليوتي فقد أخذ من جهته ينذر فرنسا بالخطورة التي ستلاقيها في المغرب فأرسل ببرقية في 22 نوفمبر 1924م للحكومة الفرنسية يخبرها بأن المناطق الاسبانية المجاورة للحدود الفرنسية أصبحت مركزا للعصيان وأن سكانها أصبحوا تحت زعامة رجل واحد لا يأتمرون إلا بأمره، كما أرسل برقية أخرى في 11 ديسمبر من نفس السنة يخبر فيها حكومته بتشكيل دولة إسلامية في الشمال من المغرب وأن الأمير لا يخفي نيته من مهاجمة المنطقة الفرنسية[3].

وكان موقف الأحزاب الفرنسية معاديا للحرب فالاشتراكيون طالبوا بوقف فوري للأعمال العسكرية وفتح مفاوضات السلام، واتهام ليوتي بأنه يبحث عن الشهرة والمجد [4]، أما الحزب الشيوعي فكان معارضا أصلا وصرح بأن الحرب استعمارية، وقام بحملة واسعة ضد الحرب الريفية[5]. وكان للصحافة الباريسية دورها في نشر أخبار الحرب بحيث أصبح المغرب الشغل الأول لرجال الدولة والحكاية الوحيدة التي تتداولها الجرائد، فبالنسبة لصحافة اليمين المحافظ والوسط، فكان قرارها بأن لاتبقى فرنسا مكتوفة الأيدي لاعتداء الريفيين، بل أن تضع خطة محكمة للهجوم ورفض التفاوض مع الريفيين بعدما وصفتهم بالمتمردين، أما الصحافة اليسارية والاشتراكية فقد صرحت من خلال جريدتها "العهد الجديد" "L'Ere nouvelle" والتي تضم أحسن المثقفين اليسار، بالحرب ضد الريفيين وأعلنوها حرب صليبية ضد الأمير محمد بن عبد الكريم وطالبوا بالتخلص السريع منه لحفظ أرواح الجنود وهذا باستعمال كل أنواع السلاح من قنابل الطائرات وغيرها لأن بها يكون النصر إلا أن تصريحاتها تغيرت فيما بعد بعدما كتب

---

(1) - الأمير: مصدر سابق، ص.ص 187، 188.
(2) - نفسه: ص. 189.
(3) - روم لاندو: **أزمة المغرب**، مرجع سابق، ص. 141.
(4) - Charles Robert Ageron, **Les socialistes Francais devant la guerre du Rif,** Revue D'histoire et de Civilisation du Maghreb, N13, janvier, 1976.
(5) - جوليان: مرجع سابق، ص.ص. 169- 182.

"قوستاف تيري" "Gustave Téry" يدعم السلم والمفاوضات وعدم الذهاب إلى الريف للمغامرة، وقامت الجريدة بشن حملة ضد ليوتي باعتباره الرجل الذي قادهم للحرب. أما بالنسبة للصحافة الشيوعية فقد كانت مبرراتها واضحة وصرحت من خلال جريدة "المراسلة العالمية" "LaCorrespondence Internationale"، أن ثورة الأمير عبد الكريم صراع ضد الإمبريالية، وهو يميل لفرنسا وهدفه طرد اسبانيا من الساحل، وأن الشعب الريفي شعب مستعمر يطالب بقوةٍ، حقه في الحياة، وفي جريدة "الإنسانية" "L'Humanité" اعتبرت الأمير رجل بطل وشجاع، وقامت بتحميل المسؤولية للإمبريالية الفرنسية وطالبت باعتراض الحرب والمطالبة بالسلم واحترام استقلالية الريف[1].

لقد قام ليوتي بتقوية الحصون على الحدود وزيادة عددها حيث وصلت سبعين مركزا منها اثنان رئيسيان واحد في كيفان والآخر في بيبان في الخط الأمامي كما انشأ وراء المراكز الموجودة على خط ورغة مركزا كبيرا في جهة فاس احتياطا لنجدة المراكز الأمامية عند الحاجة وقام بتعبيد الطرق لتسهيل تحركات الجيش كما طالب بزيادة عدد القوات في المغرب للاستعداد للعدوان، وبالرغم من هذا فإن الأمير بقي يبحث عن السلم مع الفرنسيين فأرسل علوش حدو علي البقيوي إلى فاس لأجل التفاوض مع القيادة الفرنسية للتوقف عن عدوانها إلا أنهم تجاهلوا وجوده وبالتالي وجد الأمير بأن لا مفر له من الصدام معها بعدما انتهت جميع وسائل الحوار معهم[2].

(1) - Charles Robert Ageron, **La Presse Parisienne Devant La Guerre Du Rif (Avril 1925-Mai 1926),** Revue du l'Occident Musulman et de la Méditerranée, N24, 1977, P.P.7-26.

(2) - الأمير :مصدر سابق، ص. 190؛ ثابت: مصدر سابق، ص.ص 98، 62.

الحرب ضد فرنسا:

مع بداية أفريل 1925م خطط ليوتي بأن يكون هجومه بداية من قبيلة بني زروال لأنها تتخذ موقع الفاصل بين الريف والجبالة كما أن الجنود الريفيين كانوا مرابطين بها وطلب منهم الفرنسيون الجلاء عنها مع أن المنطقة ريفية فانتشرت القوات على طول خط ورغة ودعم قواته العسكرية بين فاس وتازة من خلال القوات التي كانت تصل من الجزائر عن طريق السكة الحديدية وقد بلغت القوات الفرنسية ككل حوالي 72500 جندي وبدأت الطائرات تلقي بقنابلها ونيرانها على بني زروال وبالتالي لم يبقى للأمير إلا الدفاع عن نفسه وبلاده لأن حربه هذه حرب دفاعية وليست هجومية كما يدعون[1].

لقد واجه الأمير محمد بن عبد الكريم الفرنسيين بجيش منظم ومدرب ومجهز بأسلحة حديثة ليس كما كان يتوقعه ليوتي بأنه يواجه قوات مشتتة وقبائل ثائرة بل وجد نفسه أمام جيش نظامي ليس من السهل القضاء عليه، وقد أمر الأمير قواته باحتلال المراكز الحربية الفرنسية قدر الإمكان ومع بداية الصدام بين الفريقين في الأيام الأولى حتى قامت القبائل الواقعة على الحدود وتحت الحماية الفرنسية ضد الفرنسيين وهجموا عليهم وأعلنوا نظامهم للريفيين وتمكنوا من الاستيلاء على أغلبية المراكز، مع بداية ماي استطاع الريفيون الاستيلاء على أربعين مركزا فرنسيا في مقدمتها حصن (ببيان) وبالتالي امتد انتصار الريفيين إلى غاية ورغة وصدر الأمر من الأمير بعدم مجاوزتها. وقد أخذت القيادة الفرنسية في المغرب تطلب تعزيزات عسكرية جديدة لتسيطر على الوضع حيث وصلت نهاية ماي ستة بواخر محملة بالجنود والعتاد ليدعموا دفاعاتهم أمام الريفيين كما وصلت أربعة أخرى إلى الدار البيضاء لمراقبة السواحل وتشديد الحصار على الريفيين من جهة الغرب، وبالرغم من هذا كله لم يستطع الفرنسيون تحقيق أي انتصار على القوات الريفية التي أصبحت في مركز يهدد التواجد الفرنسي في المغرب ككل بعدما وصل تهديدهم تازة، وقد اضطرب الرأي العام الفرنسي وأدى هذا إلى قدوم رئيس فرنسا "بول بانليفي" في 10 جوان 1925 لتفقد جيوشه والوقوف على الأحوال الحربية

(1) - الأمير: مصدر سابق ، ص. 192؛ ثابت: مصدر سابق ، ص.98. أنظر الهجوم الريفي على الفرنسيين في الخريطة المرفقة في (الملحق رقم 08).

وقد صرح بضرورة القضاء على الثورة الريفية بجميع الوسائل التي تحقق النجاح إلا أن اتساع الحرب مع نهاية جوان أدى إلى انضمام القبائل الواقعة شمال تازة وهي التسول والبرانس وكزناية وغيرها إلى الريفيين وغنموا غنائم و ذخائر حربية دعمتهم في التقدم إلى الأمام حتى كان الخطب عند السكة الحديدية بين تازة وفاس ثم وصل إلى نواحي فاس وأخذت القبائل المجاورة لفاس بقطع الطرق عليها ونهب ما فيها حتى تدخلت الجيوش الفرنسية فيها وعجلت في إخماد الفوضى[1].

وقد صرح وزير الخارجية محمد أزرقان في عدم الاستيلاء على فاس هو نفس الوضع الذي وقعوا فيه عند مليلة فقال (بأنه ليس عندنا جند نظامي يقف عند الحدود التي يراعيها في عدم الفتك بالأجانب، ومن لا يستحق القتل، فنخشى أن تمتد إليه إلى المستوطنين الذين تعمهم الخسارة وتدخلهم نار الفتنة في جوفها فلا ينجو من يد السلب والنهب إلا من حفته العناية بإنقاذنا له و انقياده للاستسلام والخروج من جدران البلاد).وهذا لا يعني أن الريفيين غير منظمين بل هم في أحسن تنظيم لكنه كان يقصد من القبائل التي ثارت وقامت بقطع الطريق على فاس ونهبها لولا تدخل القوات الفرنسية لأن الريفيين لم يكونوا وصلوا فاس بعد حيث قال (فالفتن التي كانت بفاس ونواحيها لا تداخل للريفيين الحقيقيين فيها .كما يعلمه كل أحد يعلم حقائق الأشياء) [2]

[1] - أنظر ثابت: مصدر سابق، ص.103؛ أحمد سكيرج: مصدر سابق، ص. 90؛ الأمير: مصدر سابق، ص.ص.194، 197.
[2] - سكيرج: نفسه، ص.ص 90- 92.

التحالف الفرنسي الاسباني:

نتيجة للهزائم التي تعرضت إليها اسبانيا إضافة إلى الأوضاع المزرية التي وصلت إليها فرنسا أمام القوات الريفية في الشمال جعل هذه الأخيرة تفكر في التحالف مع اسبانيا لإخماد الثورة الريفية وخاصة أن الأمير بدأ يقوم بالهجوم على المراكز الاسبانية القريبة من طنجة للسيطرة عليها[1].

إن هذا التحالف جاء في الوقت الذي كانت فيه المعارك تدور على أشدها في شهر ماي 1925م بين الفرنسيين والريفيين حيث بعثت الحكومة الفرنسية وفدا إلى مدريد لعقد اتفاق مع اسبانيا للتعاون على القضاء على عبد الكريم والريفيين ثم اتفقت الحكومتان على وضع مؤتمر في مدريد للاتفاق الفعلي وفي 18 جوان 1925م تم افتتاح المؤتمر وأظهر كل وفد فرحته ورغبة حكومته في التفاهم والاتفاق وضرورة التعاون لمقاومة عبد الكريم وقد استغرق هذا المؤتمر أكثر من شهر[2].

لقد اتفقت الحكومتان على عدة اتفاقيات للقضاء على الثورة الريفية تلخصت في وضع رقابة على الشواطئ الريفية والطرق البرية وهذا للتطويق على الريفيين ومنع تهريب الأسلحة والعتاد إليه كما عقدوا اتفاقا بخصوص الحدود التي تفصل بينهما في المغرب واتفقوا على أن تعطي اسبانيا لفرنسا حق مطاردة الريفيين في منطقتها والعكس، كما يسمح للسفن الحربية الاسبانية اللجوء إلى الموانئ الجزائرية وأيضا بالنسبة للسفن الفرنسية بأن تلجأ للموانئ الاسبانية للتموين منها، وكانت أخطر اتفاقية على الأمير هي تعهد الطرفان بعدم عقد أي صلح منفرد مع الأمير بحيث لا يستطيع الأمير بأن يقوم بصلح مع أحدهما ليتفرغ للآخر [3].

كما اتفق الطرفان على وضع شروط للصلح تعرض على عبد الكريم ونصت على مايلي:

1 -الاعتراف بالتواجد الاسباني اعترافا صريحا.

2 -القيام بتبادل الأسرى.

3 -إصدار عفو عام عن الأعمال العسكرية والسياسية التي ارتكبت بعد جانفي 1925م.

---

(1) - الأمير: مصدر سابق، ص. 198.
(2) - ثابت: مصدر سابق، ص.ص 122، 123.
(3) - الأمير: نفسه، ص. 199؛ ثابت : نفسه ص. 124.

4 تقوم قوة من البوليس بالحفاظ على امن القبائل.

5 الحرية التجارية في المنطقة.

6 حظر المتاجرة بالأسلحة في المنطقة.

وباعتبار أن هذه الشروط تجاهلت الأمير ومكانته وخاطبت شعبه كقبائل وليس كشعب خاضع لسلطة ودولة، كما بينت التأكيد على الاعتراف بالاحتلال الاسباني وهذا ما يرفضه الشعب الريفي وحكومته، وعندما تم إرسال المندوبين من طرف الحكومتين الفرنسية والاسبانية لعرض شروط الصلح على عبد الكريم رفض استقبالهما ما لم تقبل الحكومتان الاعتراف باستقلال الريف ، كما أكد رفضه الدخول في أية مفاوضات معهم ما لم يحصل على ضمان يعترف فيه باستقلال الريف[1].

[1] - الأمير: مصدر سابق، ص.ص. 200، 201.

الهجوم المشترك واستسلام الأمير:

أخذ الأمير في أخذ احتياطاته بعد الاتفاق الفرنسي الاسباني فعمل على عقد مؤتمر في العاصمة أجدير ليطلع القادة الريفيين على مخاطر الاتفاق وقد خرج المؤتمر بخطة عسكرية لمواجهة الموقف العسكري، ومما جاء فيه تقسيم المنطقة الريفية إلى قسمين قسم شرقي وهو القسم الواقع شرق جزيرة بادس وتازة ويتولى الأمير قيادته والقسم الغربي يتولى أخ الأمير قيادته[1]. أما الجانب الفرنسي والاسباني فقد قررا القيام بهجوم واسع وكاسح ومن كل الجهات على الريف ونتيجة لذلك تقرر أن تنزل اسبانيا جيشا في شواطئ الحسيمة للسيطرة على العاصمة ثم يواصل زحفه نحو الجنوب ليلتقي بالجيش الفرنسي المتجه من الجنوب نحو الشمال عن طريق كيفان وفي الجهة الغربية فنفس الشيء فيهجم الاسبان على القصر الكبير ثم يزحفون ليلتقي بالجيش الفرنسي الذي يهجم من وزان وبالتالي يوحد الطرفان جيشهما والإحاطة بالريفيين وحصرهم في منطقة محدودة وقطع جميع الإمدادات عنهم وهذا ما يؤدي إلى استسلامهم[2].

لقد بدأت الجيوش الفرنسية والاسبانية هجماتها ابتداء من 09 سبتمبر 1925م[3] وقد حشدت جميع قواتها التي بلغت 280 ألف جندي إضافة إلى جميع أنواع الأسلحة من مدافع ثقيلة وخفيفة ورشاشات ودبابات إضافة إلى الطائرات التي كانت ترميهم بالقنابل والغازا ت السامة وقد خلف ليوتي الماريشال بيتان الذي تكفل بسير الأعمال الحربية من الجهة الفرنسية ضد الثورة الريفية كما كلف الجنرال بريمودي ريفيرا الجنرال سنخورخو للقيام بهذا الهجوم من الجهة الاسبانية بحيث تمت محاصرة الريفيين من جميع الجهات ولقد دارت بين الجانبين معارك شديدة في الشرق والغرب والجنوب[4].بالرغم من فقدانهم لجميع الإمكانيات من عتاد وغذاء في الوقت الذي كان يستعمل فيه عدوهم كل أنواع الفتك والدمار ورغم هذا وقف الريفيون موقف الأبطال في وجوههم ولم يتركوا لهم مجالا للتقدم.

---

(1) - الأمير:مصدر سابق ، ص.203.
(2) - نفسه، ص. 204.
(3) - أنظر الهجوم المشترك على الريف في الخريطة المرفقة في (الملحق رقم 09)
(4) - اللوه: مصدر سابق، ص. 292.

وقد استعمل الغزاة الغازات السامة، وهذا لسببين أولها الانتقام لهزيمة أنوال وعدد الضحايا التي سقطت بها وثانيها إنهاء الحرب بأقصى سرعة ممكنة، وكانت هذه القنابل المعبأة بالغازات السامة ترمى في الأسواق والقرى لتجمع الناس فيها والتي كانت تسبب العمى وآثار خطيرة على النساء والأطفال وحروق وتقيحات جلدية، وإن تسرب الغاز إلى الرئتين تؤدي إلى الموت والهلاك وكانت هذه الغازات تهلك حتى النبات والحقول، وبالتالي كانت أضرارها بالغة على أهل الريف والسبب الرئيسي في تفوق الغزاة وتقدمهم[1].

ومن جهة البحر قرر المعتدون التدخل من الخلف أي الهجوم من جهة البحر والسيطرة على العاصمة وهذا لتحطيم عبد الكريم لأن أجدير مسقط رأسه وهي عاصمة الريف ومقر العمليات الحربية وبالتالي خطط الغزاة على احتلالها مهما كلفهم من تضحيات [2].وقد وجدوها خالية من المقاومين لانشغالهم بالدفاع في الخطوط الأمامية وعند وصول السفن الحربية إلى الشواطئ وأخذت تتجول فيها رآهم من كان هناك من القوم وأخذوا يتصلون بالمسؤولين في أجدير عن طريق الهاتف ويخبروهم باقتراب العدو من البحر وعزمه على النزول فأجابوه بأنه يهدد فقط وأيضا ليشغلهم حتى لا يتوجهوا إلى خطوط القتال لكن للأسف كان عدد البواخر التي تجمعت حول شواطئ الحسيمة قد فاقت مائتين باخرة اسبانية وانجليزية وفرنسية، وتمهيدا للنزول أخذوا يرمون الشواطئ بقنابل المدافع وتدخلت الطائرات وكانوا يرمون القرى القريبة من الشاطئ ليجبروا أهلها على الهروب وبعد ذلك أخذ الغزاة في إنزال جنودهم على الشواطئ من دون أن تلاقيهم أي مقاومة لأن كل قادر على حمل السلاح من القوم توجه لخطوط القتال وقد بعث الأمير الأسلحة إلى من بقي من الرجال في قبيلة بقيوة بدعم من رجال بني ورياغل وقد حظر هو نفسه للوقوف أمام العدو لكي لا يتقدم إلى العاصمة مع العلم أن العدو قد حشد جميع قواته على الشاطئ ورغم هذا فقد أخذ المقاومين في المقاومة والدفاع عن وطنهم خاصة أبطال بقيوة وهذا لعلمهم بمسالك الأرض لأنهم يقطنون القرى القريبة من الشاطئ وقد دارت

---

[1] - مارية روسا دي مادارياغا: **مغاربة في خدمة فرانكو**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006، ترجمة كنزة الغالي، ط$_1$، ص.ص. 41- 44؛ Ageron, **La Presse Parisienne**, OP, CIT, P.P 24,25

[2] - أمزيان: مرجع سابق، ص.217.

معارك شديدة أستشهد فيها العديد من المقاومين كما تكبد الغزاة خسائر كبيرة ومع بداية ماي 1926م تقدم الغزاة عن طريق البحر واقتربوا من أجدير، وعندما أحس الأمير بالخطر أصدر أوامره بإطلاق صراح جميع المساجين في سجني سيدي العابد وتخنوست ليقوموا بمساعدة إخوانهم في الكفاح ولكن مع ازدياد الخطر من جميع الجهات على البلاد الريفية أخذ الأمير يطلب التفاوض مع الاسبان وفرنسا لعقد هدنة للوصول إلى صلح لحل المشكل[1].

لقد أرسل الأمير وزير خارجيته رفقة أحمد الشدي وأحمد بن حمو [2] لينوبوا عنه في المؤتمر الذي قرر عقده بوجدة بخصوص شروط الصلح، إلا أنهم لم يحصلوا على فائدة واستمر الهجوم على أجدير إلى أن أستشهد أغلب المقاومين نتيجة استعمال الغازات السامة التي كانت تطلقها الطائرات وما تقذفه مدافع السفن وقد أعطى الأمير أوامر إلى بعض الأعيان من بني ورياغل الذين كانوا في ساحة القتال للرجوع إلى القبيلة لنقل أولادهم إلى الجبال والتحصن بها لاقتراب العدو الاسباني من أجدير بقوة ثلاثين ألفا من العساكر المدججة بالسلاح كما أنه تقدم من ناحية مليلة واحتل أنوال وهذا بمساعدة بعض الموالين ممن كانوا تابعين للريفين ونتيجة لازدياد الضغط بدأت القوات الريفية تنقسم على نفسها وتعلن خيانتها وتنظم إلى الفرنسيين والاسبانيين حيث تمكنوا من الإحاطة بقبيلة بني ورياغل من سائر الجهات ولم يبقى للأمير إلا أن يأخذ احتياطاته لحماية عائلته وعائلات إخوانه ممن كانوا معه في السراء والضراء إلا أنه وجد جميع المخارج مغلقة فلم يجد حلا إلا التفاوض مع الحكام الفرنسيين الذي طلب الاستسلام في 27 ماي 1927م وقد اجتمع الأمير صحبة أزرقان ولحق به عمه عبد السلام وأخوه في ترجيست وتوجهوا إلى تازة مع جيش من الخيالة ثم ذهبوا إلى فاس وبقوا تحت الحراسة مدة ستة أشهر إلى أن تم تعيين إقامتهم فتوجه السيد أرزقان إلى الجديدة صحبة محمد بو جيبار [3]

[1] - اللوه: مصدر سابق، ص.ص 293- 296؛ سكيرج: مصدر سابق، ص. 96.
[2] - أنظر الرسائل التي بموجبها تم تفويض المبعوثين للمفاوضة مع فرنسا واسبانيا لعقد الصلح في (الملحق رقم 10)
[3] - سكيرج: نفسه، ص.ص. 97-100؛ غلاب: مرجع سابق، ص.67.

أما الأمير فتوجه إلى جزيرة لارينيون في المحيط الهادي صحبة أخيه وعمه مع أهاليهم وأولادهم التي بلغ عددهم 29 فردا والتي وصلوا إليها في 10 أكتوبر 1926م[1].

[1] - Zakya. OP. CIT. P.358.

الفصل الرابع

أصداء حرب الريف في الجزائر

تأثير الحرب على الجزائريين:

إن انتصار أنوال الذي ذاع صداه في جميع أنحاء العالم كان له صداه على الصعيد العربي فقد هز هذا الانتصار الأقطار العربية واستقبلوه بفرحة كبيرة، وكانت أخبار الريف تعتبر شغلهم الشاغل، بالرغم أن هذه الأخبار كانت تصلهم عن طريق ما تكتبه الصحف الأجنبية أو عن طريق بعض العمال أو المراسلات، وبالتالي تركت آثارها واضحة في تلك الفترة، أما في الجزائر فيعبر عنها مصالي الحاج[1] في مذكراته فيقول " لقد عشنا سنتي 1920 –1921م حدثا كبيرا وهاما وهو انهزام الجيش الاسباني المزود بأحدث الأسلحة وبجيشه الجرار أمام الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي أدهش العالم كله وتخوفت منه أوربا والمسيحية وأصبح محطة تشجيع لكل الشعوب الإسلامية المضطهدة" [2] وقد اكتست ثورة الريف بالطابع المغاربي بعد التدخل الفرنسي وتحالفه مع اسبانيا للقضاء عليها.

إن ثورة الريف لم تنحصر في المغرب الأقصى وإيقاظ الوطنية المغربية فقط، الذين اعتبروا هزيمة الاسبان تبشر بالتوسع الإسلامي [3] بل أخذت اتجاها مغاربيا وهذا للتعاطف الكبير والصدى الواسع على الساحة المغاربية [4]، لأن هذه الثورة كانت أكبر حدث عاشه المغرب العربي بعد الحرب العالمية الأولى [5]، وبالرغم أن الحالة العامة في الجزائر كانت هادئة إلا أنه كان هناك نوع من ردود الفعل في الأوساط العامة ومتابعة باهتمام لما يحدث في المغرب من تدخل القوات الفرنسية. والذي جلب أنظارهم بالرغم من أن السلطات الفرنسية قامت بتضييق الخناق خوفا من انتشار ثورة مغاربية شاملة هو مراقبة حركة تنقل العسكريين من الجزائر إلى المغرب الأقصى وهذا للاحتياج الكبير للقوات العسكرية الفرنسية لمواجهة

---

(1) - هو مصالي الحاج بن أحمد، أبو الحركة الوطنية ولد بتلمسان في الغرب الجزائري سنة 1898م وهو زعيم وطني جزائري، جند لأداء الخدمة العسكرية سنة 1918م عاد إلى الجزائر سنة 1921م حيث تلقى صعوبات في الحصول على العمل فاضطر للعودة إلى فرنسا وهناك زاول نشاطه السياسي، أسس حزب نجم شمال إفريقيا سنة 1926م، والذي كرس نفسه في الدفاع عن مصالح مسلمي شمال إفريقيا، كما قام بتأسيس حزب الشعب الجزائري (1937-1939)، سجن عدة مرات وفرضت عليه الإقامة الجبرية في الجزائر وفرنسا ومستعمراتها سيما في برازافيل "الكونغو"، نادى باستقلال الجزائر منذ العشرينات، مات بفرنسا في 1974م ودفن بمسقط رأسه. للمزيد أنظر، عبد الحميد زوزو:**الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914-1939)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007؛ بن يامين سطورا: **مصالي الحاج 1898-1947**، دار القصبة للنشر، الجزائر 2007، ترجمة صادق عماري ومصطفى ماضي؛ Messali Hadj Ahmed, **Mémoires 1898-1974**, Edition Jean Claude Lattes, Paris ,1985

(2) - Messali, idem, P 111.

(3) - Charles André Julien, **L Afrique Du Nord En Marche**, Nationalismes ,Musulmans et Souveraineté Français, RENE, Julliard, Paris, 1972. P 130.

(4) - محمد بلقاسم: **الإتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 1994، إشراف الدكتور أبو القاسم سعد الله، ص.106.

(5) - أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930**، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1983، ج$_2$، ص.311.

الريفيين بعدما ظهرت القوة الحقيقية للريفيين لأن الفرنسيين تفاجؤوا بما قابلهم به محمد بن عبد الكريم الخطابي بجيش منظم ومجهز بأحدث الأسلحة[(1)].

ونتيجة إلى ما وصلت إليه الحرب الفرنسية الريفية بعد الانتصارات التي حققتها هذه الأخيرة وظهرت حقيقة القوة الفرنسية خاصة في الفترة التي قضتها في طلب التعاون مع اسبانيا وفي طلب الصلح مع عبد الكريم والتي طالت. فقد تغيرت صورة فرنسا عند الجزائريين وظهر نوع من الانتفاضة مثل ما ظهر في مدينة "سعيدة" [(2)] وهذا لأتفه الأسباب تعبيرا عن تضامنهم مع الريفيين خاصة وأن احتكاك الجزائريين بالجرحى القادمين من الحرب إلى "تلمسان" [(3)] عند إسعافهم أظهر لهم الضعف الفرنسي خاصة بعد الاقتناع التام عند الجنود بعدم نجاحهم في مواجهة عبد الكريم والريفيين[(4)].

وفي الشرق الجزائري، فمنذ انتصار الريفيين في معركة أنوال أخذ اسم محمد ابن عبد الكريم الخطابي يأخذ مكانة في حديثهم، وأصبح الحديث عن حرب الريف وسير أحداثها مكشوف أمام العامة ويقول مالك بن نبي [(5)] في مذكراته " لقد أصبحت هذه الحرب الحديث الرئيسي في مقهى بن يمينة[6] وغدا الناس يرون في منامهم أحداثا ومشاهد فيفسرونها بما يتلاءم مع نهاية ظافرة للأمير عبد الكريم" [(7)]، كما بدأت الشرطة الفرنسية تنزعج من اسم عبد الكريم وبدأت "تزعج أولئك الباعة المتجولين الذين يعرضون بضاعتهم في الطريق، من حلوى الفطير المقلي الذي يسمونه (الخفاف) أو (الإسفنج) في ساعة مبكرة من الصباح ينادون عليه بصوت تقليدي (يا كريم)" [(8)]. وبدأ يظهر نوع من المساندة والوعي لأن الريفيين كانوا بالفعل أسودا لأنهم يحاربون المستعمر الذي أحكم سيطرته على المغرب العربي في الوقت الذي يكتفون فيه

---

(1) - Mahfoud Kaddache, Mohamed Guenanech, **L'étoile Nord Africaine , 1926-1937**, Office des Publication Universitaires., Alger, 2002,P.26.

(2) - مدينة تقع في الغرب الجزائري.

(3) - مدينة تقع في الغرب الجزائري.

(4) - Kaddache, idem, P.26.

(5) - هو مالك بن عمر بن الخذر بن مصطفى بن نبي عالم ومفكر إصلاحي جزائري ولد بمدينة قسنطينة في الشرق الجزائري انتقلت أسرته وهو ما يزال صغيرا إلى تبسة وهناك دخل الكتاب لحفظ القرآن الكريم إلى جانب مواصلة الدراسة في المدرسة الابتدائية أكمل دراسته في قسنطينة، وفي عام 1920م دخل إلى الثانوية ونجح فيها وفي هذه المرحلة بدأت تتبلور أفكاره فقد تأثر بالمناخ الثقافي الذي كان سائدا في منطقة الشرق الجزائري الذي بدأت تنتشر فيه روح الإصلاح والثقافة العربية إضافة إلى تأثره بأفكار الشيخ بن باديس، شرع يؤلف الكتب في قضايا العالم الإسلامي من بينها الظاهرة القرآنية سنة 1946م وشروط النهضة في 1948م ووجهة العالم الاسلامي في 1954م، بعد إعلان الثورة انتقل إلى القاهرة وهناك كتب فكرة الإفريقية الآسيوية 1956 وبعد الاستقلال عاد إلى أرض الوطن وشغل عدت مناصب حساسة إلى أن توفي في 31 أكتوبر 1973م. مخلفا وراءه مجموعة من الأفكار القيمة والمؤلفات النادرة، للمزيد أنظر، مالك بن نبي: **مذكرات شاهد القرن**، دار الفكر للطباعة، دمشق، 1984م؛ مولود عويمر: **مالك بن نبي رجل الحضارة**،دار الأمل تيزي وزو، 2007.

(6) - مقهى في مدينة قسنطينة في الشرق الجزائري.

(7) - بن نبي: نفسه، ص. 127.

(8) - نفسه ص.127.

هم بالنظر وبالتالي ظهر لهم اليوم الذي يجب فيه مساعدة إخوانهم لتحرير المغرب ككل وظهر نوع من الوعي وقد بدأ بعضهم يفكر في الذهاب إلى المغرب والالتحاق بإخوانه الريفيين أو القيام بثورة مماثلة بعدما أثبت الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي إمكانية النيل من إمبراطورية استعمارية بعد النجاح الذي حققه مع ثلة من الرجال والذي اعتبر كشق يأتي بعده تصدع الإمبراطورية الاستعمارية[1].

كما أن مقاومة الريفيين للفرنسيين في المغرب تعتبر مؤشر قوة عند الجزائريين خاصة ما كانت تتمتع به فرنسا من إشاعات في عدم هزيمتها إلا أنه ظهرت الحقيقة في أرض الريف كما أن طول مقاومة محمد بن عبد الكريم أعطتهم فكرة عن قوته لأن طول مدة الحرب تؤكد على مدى صلابته وقوته والذي زاد في الانتباه أكثر هو ذاك الفشل الذي منيت به فرنسا مباشرة من الصدام الأول مع الريفيين الذي أرسل فطنة إلى الشعب الجزائري وأيقض أمل المقاومة الإسلامية فيه[2].

وكان اهتمام الجزائريين بحرب الريف حتى في المهجر فعند ذهاب مالك بن نبي إلى فرنسا دخل إلى أحد المقاهي العربية وبمجرد أن أيقن صاحب المقهى أنه قادم من الجزائر جاء إليه دون أن يكون له معرفة سابقة به ليسأله عن الريف ويقول مالك بن نبي "جاء صاحب المقهى يجلس بيننا وقد اتكأ بمرفقيه على الطاولة ورأسه بين ذراعيه، سألنا: ما هي أخبار الريف؟. كنت مهتما بالموضوع ولذا فان كل من في القاعة توقف عن اللعب وعن الكلام كما يصغي إلي"[3].

وقد كان للحملة ضد حرب الريف سنة 1925م تأثير واضح وعميق على أغلبية المهاجرين الجزائريين بما فيهم مصالي الحاج[4].

---

(1) - بن نبي: مصدر سابق، ص. 128.

(2) - Kaddache, OP,CIT , P.27.

(3) - بن نبي: نفسه، ص. 152.

(4) - سطورا: مرجع سابق، ص.45.

تأييد الجزائريين لثورة الريف:

لقد ظهر التأييد والتعاطف مع الريفيين واضحا وجليا عند الجزائريين من خلال التفكير في الذهاب إلى الريف لمساندة إخوانهم أو إحداث مشاكل داخل الجزائر ضد الفرنسيين تعبيرا عن تضامنهم مع أخوانهم الريفيين مثلما حدث في مدينة "سعيدة" كما ذكرنا سابقا، خاصة وأن الحرب بلغت أوجها في الصحافة وفي النفوس وقد استمرت فرنسا في التجنيد وبلغ بها الأمر أنها اتصلت بالمساجد لتنادي للحرب وكان هذا عكْس المشاعر الحقيقية للجزائريين والتي بينها مالك بن نبي بقوله "لم نعد نملك أنفسنا واجتمعنا .... كلفني هؤلاء المتآمرون أن أكتب نداء نعلقه على باب الجامع ليلة الغد" [1] حيث كان هذا النداء يؤازر المجاهدين الريفيين ويرفض التجنيد لصالح فرنسا، إلا أن ردت فعل السلطات الفرنسية كان قويا أكثر من المواطنين فيقول "فقد كان دوي الورقة في ضمير الإدارة الفرنسية أكثر مما كان في ضمير مواطنينا"[2].

ولم يكن التأييد من طرف الجزائريين الموجودين داخل الوطن فقط بل أيضا في خارجه وهذا ما نلاحظه عند أحمد توفيق المدني في تونس الذي كان كاتبا عاما لحزب الدستور التونسي ومحررا لجريدة إفريقيا الذي كتب فيها مقالا بتاريخ 25 ماي 1925م يواجه فيه الحكومة الفرنسية ويكشف أساليبها الاستعمارية ويؤيد فيه الريفيين ويشجع بطولاتهم ويمجد فيه الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي حيث يقول فيه " وسجلت تمجيدا مستحقا لذلك الرجل العصامي الأبي، رجل الهمة والشجاعة والإقدام الجريء، الذي تقدم مجاهدا في سبيل الله يعيد لأمته مجدا ويهيء لها نصرا مؤزرا، ويحاول تغيير مجرى التاريخ في العالم العربي، ويحفر للاستعمار، وقد حفر فعلا، قبرا عميقا ضيقا، مظلما. ما لبث أن تردى فيه الاستعمار إلى الأبد بفضل مجاهدين أبرار، ورجال أحرار باعوا أرواحهم رخيصة، في سبيل الله والأمة والوطن، وتعاقبوا على ميادين الكفاح بما ملكت أيديهم وما انطوت عليه قلوبهم وأفكارهم، فكان النصر، وكانت الحرية، وكان الاستقلال العظيم. ورحم الله الشهداء، وخلد ذكر المجاهدين إلى الأبد"[3]

وبالنسبة للشاعر الجزائري مفدي زكريا، فقد كتب قصيدة شعرية بعنوان إلى "الريفيين"، التي نشرها في جريدة الشعب التونسية بتاريخ 06 ماي 1925م والتي بلغ عدد أبياتها خمسة وستين بيتا وكانت قصيدة يندى لها الجبين وتعبر عن المشاعر الداخلية وتظهر حب التضامن

---

(1) - بن نبي: مصدر سابق، ص. 157.
(2) - نفسه: 157.
(3) - أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح 1905-1925**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ج$_1$،.ص.ص.334،335.

والتآخي للشعب الريفي ومن خلالها يبلغ سلامه وتهانيه لجهاده ضد المستعمر الغاشم ويبشره بأن جميع المسلمين يوجهون أنظارهم إليهم ويتمنون نصرتهم وفي الأخير ينصحهم في عدم الاستسلام والصبر حتى ينالوا مرادهم فيقول في البيت 51 و 52 ما يلي:

(بني الريف) إياكم والجمـــــــــود، فإن النجاح حليف السهر

(بني الريف) هبــوا، هــذا زمـــان تحرك ما فيه حتى الحجر

ومن بين الأبيات التي يمجد فيها الأمير وأهل الريف نذكر 59 و 60 و 61:

وروح تفــيــض مــن العــبرات غراما وحبا لشعب أغــر

(كعبد الكريم) عــظــيم الحمـــاة، ليحيا جليلا بذكر عطــر

ويبقى مثالا على صحف الدهــ ـــر للعظماء بأي العصـــر

وبما أن عدد الأبيات كبير فإننا نكتفي بعرض الستة عشر بيت الأولى فقط

أجــبريل هــلـــل بـــآي الظــفر وكبر وخط جليل الخبـــر

ورف بأجــنحـــة النصـــر فوق (بني الريف)، حول القنا المشتجر

ورتل على الجيش (إن تنصر اللــ ـــه ينصرك) ببلوغ الوطـــر

وأعــل اللـــواء لهـــام الثريـــا، وسر للأمام بتلك الزمـــر

وابلـــغ رســـول البرية أحمـــــ ـــد، هادي الشريعة، بادي البشر

بأن الهـــلال على أفـــق العـــز ز والمجد – بعد الأفول – ظهر

سلام (بني الريف) مـــن مهـــج تكاد تطير ولا تصطبـــر

هنيئا (بني الريف) قـــد فتحت لكم جنة الخلد، من يبتدر؟

(بني الريف) ليست سوى جرعة من الهول ثمت تجلى الغير

(بني الريف) ليست سوى خطوة على النار، ثمت يجنى الثمر

(بني الريف) ليست سوى جولة على الضيم ثم يطيب المقر

نضالا نضالا (بني الريف) عن تراث لكم غالي المدخـــر

أجيبـــوا أجيبـــوا نداء الضميــــر،   ودعوة عظم رميم نخر
فكم تحت ذاك الثرى مـــن رفات   تطالبكم حقها المحتكر
وكم فوق ذي الأرض مـــن مسلم   لنصرتكم وله منتظر
(بني الريف) من كان يهوى الحياة   يهون عليه ركوب الخطر [1]

أما الجزائريين الموجودين في المهجر فقد ظهر تأييدهم من خلال انعقاد أول مؤتمر شمال إفريقي في باريس في 07 ديسمبر 1924م، والذي ضم مائة وخمسين ممثلا عن خمسة وسبعين ألف عامل من المغرب العربي أغلبهم جزائريون وبعث المؤتمر ببرقية يؤيد ويتعاطف فيها مع الشعب المغربي والأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي حيث قال "في هذه اللحظة التاريخية يهنئ المحاربين الأخوة المغاربة وزعيمهم البطل ... على نجاحهم ضد الامبريالية الاسبانية"[2].

ويقول مصالي الحاج في الوقت الذي قام فيه الأمير محمد بن عبد الكريم بمعركته الأخيرة ضد التحالف الاسباني الفرنسي قامت فيه جمعية نجم شمال إفريقيا وكأن هذا النجم جاء ليكمل مسيرة وكفاح الأميرين عبد القادر وعبد الكريم الخطابي.[3]

كما أن الحرب الريفية كانت باعثا على تحول حقيقي وحاسم في وعي مصالي الحاج وأن نظره كان دائما متجها إلى الثوار الريفيين لوقوفهم ضد التسلط الاستعماري الفرنسي[4].

---

[1] - أنظر القصيدة كاملة، الإدريسي: مرجع سابق، ص.ص. 345-349.
[2] - سعد الله: مرجع سابق، ص. 314.
[3] - Messali ,OP, CIT, P.153.
[4] - سطورا: مرجع سابق، ص.ص.48، 50.

الأمير محمد بن عبد الكريم من خلال جريدة المنتقد:

تعتبر جريدة المنتقد من أشهر الصحف وأكثرها رواجا في الوسط الجزائري فقد تأسست في قسنطينة سنة 1925م على يد الشيخ ابن باديس [1] وتولى رئاسة تحريرها، وأسند إدارتها لأحمد بوشمال وكانت تصدرها نخبة من الشبيبة الجزائرية صبيحة الخميس من كل أسبوع وهي جريدة سياسية تهذيبية انتقاديه شعارها "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء" كما أكدت على استقلاليتها ووفائها للوطن وكان من كتابها مبارك بن محمد الميلي والطيب العقبي ومحمد العيد آل خليفة وغيرهم، تعطلت في 29 أكتوبر 1925م بعد صدور ثمانية عشر عددا منها[2]."وأصبحت هذه الصحيفة منبرا لتوجيه وتوعية الجزائريين وقناة لنقد الوضع الاستعماري المفروض على الجزائر وصوتا لمناصرة القضايا الكبرى للمسلمين في فترة العشرينات كثورة الأمير عبد الكريم الخطابي ومساندة الشعب الريفي"[3].

لقد واكب صدور جريدة المنتقد فترة الحرب الريفية الفرنسية.وكانت تتتبع أخبار الحرب وتقوم بنشرها في صفحاتها ولم يخلو عددا من أعدادها الثمانية عشر إلا وتطرقت لتطورات الحرب وأعطت ولو تعليقا عنها، ففي عددها الأول والثالث نقلت مقالين بعنوان حرب الريف للعلامة عبد الحميد بن باديس، كما أنه علق على تصريحات رئيس الوزراء الفرنسي بشأن شروط الصلح في العدد الثامن، كما نقلت الجريدة محادثة لابن عبد الكريم مع مكاتب التايمس في عددها الرابع، وخطاب الأمير للقبائل المنظمة إليه في عددها السادس وفي عددها العاشر نقلت تعليقا على خطاب لابن عبد الكريم لمجلس الأمة الفرنسي وفي عددها الحادي عشر نقلت الخطاب نفسه، أما العدد الثاني عشر فقد تطرقت لتصريحات عبد الكريم بخصوص الخسائر الفرنسية، وفي العدد الخامس عشر نقلت مقالا للكاتب (ريجينالد كان) بخصوص إفريقيا الشمالية الناكرة للمعروف تحت عنوان "عن الطان الباريسية"، وفي العدد السادس عشر رد عليه العلامة عبد الحميد بن باديس بخصوص المقال الذي نشره، أما بقيت الأعداد فقد تطرقت الجريدة من بعيد أو من قريب عن ملخصات عن أنباء الريف.

---

(1) - هو عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس ولد بمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري سنة 1889م درس بها على يد عدة مشايخ أمثال حمدان الونيسي ومحمد المداسي، وحفظ القرآن وهو صغير التحق بالزيتونة سنة 1908م ليتخرج منها بعد أربع سنوات وكان أبرز شيوخه محمد النخلي والطاهر بن عاشور والبشير صفر، يعتبر رائد من رواد النهضة الاسلامية الحديثة وقد وهب نفسه للجزائر وكرس حياته دفاعا عن الإسلام والعروبة والوقوف في وجه الاستعمار إلى أن وافته المنية في 16 أفريل 1940م، للمزيد أنظر تركي رابح عمامرة: **الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة**، موفم للنشر الجزائر ، 2007.

(2) - Ihaddaden Zahir, **Histoire de La Presse Indigène en Algérie,** ENAL, Alger, 1981.P P 365-370.

(3) - مولود عويمر: **أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر**، دار الخلدونية، الجزائر، 2007.ص.96.

كتابات ابن باديس عن حرب الريف:

إن موقف المصلح الجزائري إزاء الاستعمار الغربي قد بدأت تبرز منذ صدور العدد الأول من جريدة المنتقد في 02 جويلية 1925م وهي مواقف نقدية ومعارضة للاستعمار الفرنسي في حق الإخوان الريفيين.

كانت كتابات بن باديس كمشعل يكشف حقيقة الاستعمار وقوته فأول مقال له في العدد الأول تطرق إلى أسباب الحرب وأعطى موقف الدول الأوربية منها كما بين موقف أحزاب الأمة الفرنسية، ليكون الشعب الجزائري على اطلاع لما يحدث حوله والعظمة التي وصلت إليها هاته الحرب المتكونة من مجموعة من الريفيين في مواجهة أقوى قوة استعمارية.

لقد نبه عبد الحميد بن باديس للشعب الجزائري حقيقة الاستعمار وقوته فيقول "فاجأت هذه الحرب الناس مفاجأة على منظر غريب فإن القوتين المتقاتلتين فيها لا نسبة بينهما ولا مناسبة فإن الريف أمة قليلة ضعيفة وفرنسا أول دولة حربية في العالم اليوم ثم مع ذلك طالت مدة النضال واحتاجت فرنسا إلى استعمال الكبراء من قوادها والشيء الكثير من عدتها والاستعانة بجارتها. كله هذا والحرب إلى اليوم لم تظهر نتيجتها" [1]. وبالفعل فقد أظهر ابن باديس للقارئ من أبناء الجزائر الإشاعات التي جعلت من فرنسا دولة قوية لا يتم قهرها، وفي الأخير مجموعة من الريفيين الضعفاء بزعامة الأمير محمد بن عبد الكريم يلحقون بها الخسائر ويضعونها في مأزق، لأنها لا تستطيع التراجع وفي نفس الوقت لا تستطيع المتابعة ولم يبقى لها إلا طلب المساعدة من اسبانيا.

كما بين أن الاعتراف بالاستقلال للأمير عبد الكريم سيطالب به جميع شمال إفريقيا في حالة تحققه وبالتالي هذا القرار يهدد الوجود الاستعماري في المنطقة، وأعطى صورة المجتمع الفرنسي ليظهر معاناته، لأن الشعب الفرنسي يرفض هذه الحرب رفضا باتا للأوضاع الداخلية المزرية التي وصلت إليها فرنسا لأنها تتخبط في أزمة مالية، وتحتاج إلى يد عاملة كثيرة لتغطية حاجاتها وإلى قوات عسكرية لإرهاب عدوها، واعتبر بن باديس بأن الحق الشرعي يرجع لصاحبه الأمير محمد بن الكريم لأنه في أرضه أرض الريف، ويجب أن تعترف فرنسا بذلك لأن هذا الحق سيأتي اليوم ويجب أن يحضى به[2].

---

(1) - المنتقد، العدد الأول، 02 جويلية 1925م.
(2) - نفسه.

لقد أثبت وأوضح ابن باديس من خلال كتاباته الحقيقة الفرنسية وما تعانيه في المغرب من انكسار، رغم جميع ما وفرته من عساكر وعتاد حربي مع أنها لا تستطيع التقدم في الأرض الريفية ولا شبرا واحدا وأن جميع ما يحدث من معارك فهو في منطقتها كما بين طريقة عملها والدسائس في شق طريقها لاستعمار الدول عندما علق على تسريحات رئيس الوزراء الفرنسي بشأن شروط الصلح عندما قال "أن شرط ابن عبد الكريم الاعتراف بالريف قبل الدخول في أدنى كرة شرط. يجدد قبوله فتح كامل المسالة المغربية في الحين بصورة مخطرة" [1]. ويطرح ابن باديس السؤال: ماهو هذا الخطر؟ ثم يوضح:

لقد كان الخطر يكمن في المعاهدات [2] والدسائس السرية بين الدول الأوربية والتي بموجبها تم القضاء على استغلال المغرب وبالتالي طلب عبد الكريم في استقلال الريف لا يمكن لفرنسا واسبانيا أن تحققه لأن هذا يقضي على جميع المعاهدات السابقة وعلى جميع ما خططت له فرنسا منذ زمن طويل وما تخلت عنه ليكون المغرب من نصيبها.

وبخصوص المقال الذي نشرته الجريدة في عددها الخامس عشر بعنوان "عن الطان الباريسية" للكاتب "ريجينالد كان"، والذي قال فيه أن إفريقيا الشمالية ناكرة للمعروف، وأن التاريخ يعيد نفسه وهذا لأن الشيء الذي حدث مع الأمير عبد القادر [3] يحدث مع الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، وأن شمال إفريقيا ملة واحدة، لأنه في وقت مضى أحدث الأمير عبد القادر عدة مشاكل لفرنسا. وبفضل نشاطه وسرعة حركاته حصل على سمعة ونفوذ، واجتمع حوله كل الغرب الجزائري وهو نفس الشيء الذي يحدث مع الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي وأهل الريف، ويقول "إن الجيوش الفرنسوية كانت في حرب الجزائر قابلت سنين عديدة عدوا بمثابة عبد الكريم وهو عبد القادر بإقليم على شاكلة الريف وهو جبل القبائليين" ويكمل "إن الحرب ضد الأمير عبد القادر وإيقاع الغلبة على جبال القبائل بالقطر الجزائري هما مثالان يحسن الإقتداء بهما اليوم ضد عبد الكريم" [4]

---

[1] - المنتقد : العدد الثامن، 20 أوت 1925م.

[2] - أنظر المدخل من المذكرة للتعرف على المعاهدات التي بموجبها انفردت فرنسا بالمغرب ثم قضت على استقلاله ثم تقسيمه.

[3] - الأمير عبد القادر(1808-1883) مؤسس الدول الجزائرية الحديثة عالم دين، شاعر، فيلسوف، سياسي، ومحارب في آن واحد. اشتهر بمناهضته للاحتلال الفرنسي للجزائر ولد بمعسكر وتلقى تربيته بها ثم تابع دراسته بوهران على يد علماء أجلاء ثم ذهب للحج سنة 1826م رفقة والده، بعد الاستيلاء على مدينة الجزائر عام 1830م شارك مع والده في المقاومة الشعبية التي خاضها الأهالي الجزائريون وقد تمت مبايعته بعدها قائدا يدافع على البلاد سنة 1832م ضد المستعمر، قام بتنظيم الإمارة وأجبر الفرنسيين على إمضاء معاهدة ديميشال 24 فيفري 1934م وتقر هذه المعاهدة على سلطته على الغرب الجزائري ثم تلتها معاهدة التافنة 30 ماي 1837م إلى غاية 1839م حيث تعود المعارك مرة أخرى وقد سجل فيها انتصارات جلية وبقي على هذه الحال إلى غاية استسلامه سنة 1847، للمزيد أنظر، تشارلز هنري تشرشل: **حياة الأمير عبد القادر**، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ترجمة أبو القاسم سعد الله.

[4] - المنتقد: العدد الخامس عشر، 08 أكتوبر 1925م.

ثم يوصي حكومته أن لا يقعوا في نفس الخطأ الذي وقعوا فيه مع الأمير عبد القادر بخصوص تضييع الوقت في عقد معاهدات وأن يستعملوا القوة اللازمة مع محمد بن عبد الكريم من عدة وعتاد لتقصير مدة الحرب وتحقيق نتائج إيجابية بقوله "إنهم أطالوا بعقد معاهدتين مع عبد القادر فلنتجنب إبرام أدنى معاهدة مع عبد الكريم، إن (بني أورياغل) بالنسبة للريف بمثابة (بني راتن) لقبائل جرجرة، وقد برهنت حرب الجزائر على أن مباشرة الحركات بفرق صغرى، لا تأتي بفائدة وأن استعمال الوسائل القوية تقصر مدة الحرب التي تؤول بفوائد اقتصادية فلنتذكر جميع هذه الإرشادات أثناء تحضيرنا لحرب الريف"[1].

ويرد عليه عبد الحميد بن باديس في العدد الذي يليه، في مقال عنونه بـــ "إفريقيا الشمالية الناكرة للمعروف" ويعلق على المقال الذي نقل في أكبر جرائد باريس ولسان الحكومات الفرنسية وهي جريدة (الطان) دون أية مبالات، وهذا راجع للعصبية الغربية التي ينظرون بها إلى أمم شمال إفريقيا، الذين يتميزون بروح التضامن والتي تخوفهم ويحذرون منها، ويخاطب كاتب المقال بأنه يعلم كل العلم ماهو دور أمم شمال إفريقيا في موالاتهم لأمته فرنسا في السلم والحرب، وبفضلهم كان لها الانتصار في الحرب العالمية الأولى، بحيث أخذت منهم كل شيء مقابل وعود كاذبة وآمال زائفة، ويذكره بأن الحرب الريفية إنما المتضرر الأكبر منها هم أبناء إفريقيا الشمالية، لأنهم الذين يواجهون بعضهم البعض، فيقول "أن الحرب الريفية الإفريقية التي تواجهها فرنسا وإسبانيا اليوم إنما يصلى نارها في الأكثر أبناء إفريقيا الشمالية الناكرة للمعروف"[2].

---

[1] - المنتقد: العدد الخامس عشر، 08 أكتوبر 1925.
[2] - المنتقد: العدد السادس عشر، 15 أكتوبر 1925.

العلاقة بين الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي والجزائريين:

إن بعض القادة البارزين في الحرب الريفية كان لهم تواجد في الجزائر قبل اندلاع الحرب الريفية مثل "السيد عبد السلام الخطابي، عم محمد بن عبد الكريم الخطابي وأحد مساعديه الأقربين، عمل إماما خطيبا في بعض مساجد تلمسان بالجزائر قبل أن يدعى للمساهمة في الإعداد لمقاومة الاحتلال الاسباني والمشاركة في القيادة، وأيضا حدوا لكحل أحد قادة حرب التحرير، تدرب على قيادة الطيران في الجزائر"[1]

وبعد انتصارات الريفيين بزعامة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ذاع صيتها في جميع الشعوب المغاربية وعمل الأمير على إيصال صوت المجاهدين بواسطة الرسالة التي بعث بها إلى الشعبين الجزائري والتونسي، يدعوهم فيها إلى مؤازرة إخوانهم في الريف، ولكن قبل هذا سنتطرق إلى الرسائل[2] التي تثبت أن العلاقة مع الشعب الجزائري كانت قبل هذا.

ومن بين الرسائل، رسالة بعث بها الأمير إلى الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة [3] شيخ الزاوية العلاوية بمستغانم بتاريخ 15 شعبان 1340هـ الموافق لـ ماي ـ جوان 1925م، والتي تثبت العلاقة الروحية والحميمية للرجلين، وهذا من خلال الرسالة، حيث يظهر تحيته الخالصة واحترامه الوافر لجناب الشيخ المحترم أحمد بن مصطفى بن عليوة كما يظهر الأمير جميع عبارات الاحترام والمودة ويؤكد على أنه تشرف باستلام رسالة من السيخ بن عليوة، وهذا مايدل على أنه توجد علاقة وطيدة وقديمة بينهما. كما أن الرسالة التي يذكر الأمير أنه استلمها من قبل، فهي تدخل في الاهتمام الواسع للشيخ بن عليوة بالمقاومة الريفية وسير أحداثها وتمنياته لها بالنجاح، وربما يكون هناك دعم من شكل آخر.

وقد أضاف الأمير أن هذه الفرصة التي تسمح له بالكتابة تجعله يرجو من الشيخ "أن يخصص له وردا قصيرا يتناسب وظروف المجاهدين في منطقة الريف" لأن في هذه الفترة كانت القوات الريفية قد دخلت في حرب ضد القوات الفرنسية، ونستنتج من ترجي الأمير على

---

[1] - الإدريسي : مرجع سابق، ص.300.

[2] - أنظر ملخص الرسائل، علي بشير بن مهدي: **علاقة الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة شيخ الزاوية العلاوية بمستغانم (الجزائر) بالشيخ محمد بن عبد الكريم الخطابي زعيم مقاومة الريف (المغرب الأقصى)**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد الأول، 2007.ص.ص. 103-108.

[3] - هو الشيخ أبو العباس أحمد بن مصطفى بن عليوة المعروف بالعلاوي ولد بمستغانم عام 1869م وبها نشأ التقى بشيخه وأستاذه محمد بن الحبيب البزيدي فلازمه الى غاية وفاته سنة 1909م فبويع بعده بالخلافة على رأس الطريقة الدرقاوية بمستغانم ونواحيها وخلال بداية العقد الثاني من القرن العشرين أسس الطريقة العلاوية وهي امتداد للطريقة الدرقاوية والشاذلية، ألف الشيخ كتب كثيرة تتعلق بالفلسفة والفقه والأشعار الصوفية، توفي سنة 1934م، نفسه، ص108.

تخصيص وردا قصيرا على تداول رجال الريف على هذه الزاوية، والتزود بمعارفها وعلومها، واهتمامهم بالعلم رغم ظروف الحرب التي يمرون بها.

مع العلم أن هذه الزاوية كانت تستقطب رجال الريف منذ تأسيسها في بداية العقد الثاني من القرن العشرين، وهذا ما تظهره الرسالة التي بعث بها الشيخ بن عليوة المؤرخة في 06 جويلية 1921م إلى الكاتب العام ونائب عامل عمالة وهران بخصوص الشكوك والمضايقات والسياسة التعسفية التي اتبعتها إدارة الاحتلال الفرنسي تجاه الشيخ بن عليوة ومريديه، نتيجة علاقته بالريف من خلال قدوم المريدين عنده وهذا من خلال شخصية أحد الريفيين "محمد بن الحاج الطاهر" الذي درس بالزاوية مدة أربع سنوات ثم رجع إلى وطنه بقصد الإرشاد والتعليم، فقام عليه بعض الحساد من أهل حرفته وبلغوا عنه الحكومة الاسبانية وعلى أتباعه التي قضت بنفيه إلى بلاد وهران. وخاصة في هذه الفترة قد بدأت هزائم إسبانيا أمام الريفيين قبل معركة أنوال.

وفي هذه الرسالة يلتمس الشيخ بن عليوة العفو وأن هذا الخطأ ليس بالذي يشوه سمعته فيقول "وهل تصبح أن تعد هذه النازلة من الذنوب التي تسود صحيفتنا عندكم؟"

ومن هذا تبين لدينا أنه توجد علاقة وطيدة بين هذه الزاوية وأتباعها من أهل الريف.

وفي الرسالة التي بعث بها الأمير إلى الشعبين التونسي والجزائري والتي دعاهم فيها إلى مؤازرة إخوانهم في الريف وبعدم التجند في صفوف الجيش الفرنسي المتوجه لمحاربة المغاربة الريفيين وقد كانت الرسالة مؤرخة في شهر أوت 1925[1]م، ونحن نعلم أنه في هذا الوقت كان الأمير في مواجهة مع فرنسا والتي أخذت تعمل جاهدة للاتفاق مع اسبانيا التي كان الأمير قد أذاقها أمر الهزائم وأخرجها من الريف.

فبدأ الرسالة بالتحية للأمتين التونسية والجزائرية، يذكر بجهاد الشعب الريفي ضد المستعمر الاسباني ومعاناته في إخراجه من أرض الريف، وبعد أن تم له ذلك وأخذ الشعب الريفي في العيش بسلام منشغل بزراعته أغارت عليه الدولة الفرنسية طمعا في أرضه ونجدة لجارتها اسبانيا بدافع العصبية ثم يأخذ مثالا عن التعاون النصراني على الدولة الإسلامية

---

[1] - أنظر الرسالة في مجلة المصادر، العدد07، نوفمبر 2002، ص.ص.353-361؛ قنانش، قداش: مصدر سابق، ص.ص.26-30، أنظر (الملحق رقم:11)

المتمثل في اتفاق دولة إنجلترا وإيطاليا وفرنسا واليونان على الأتراك الذين أرادوا أن ينقضوا عليها لولا أن نصرها الله بنصره.

كما أكد أنه لن يتراجع عن القتال إذا لم يبتعد الغزاة عن وطنه وأن أمته لن تتوقف ولن تمل ومصممة على القتال حتى تحرر البلاد وأن ما لديه من العتاد الحربي الحديث مايكفيه لمتابعة الحرب لمدة ثلاثة سنوات كاملة وأن حكاية الصلح ما هي إلا دسيسة وتضليل للرأي العام الإسلامي لأنه لو كانت فرنسا وإسبانيا تريدان الصلح لما حشدوا كل هذه الجيوش على الحدود الريفية وما استعملوا قنابل الغازات السامة لترميها الطائرات على الأسواق والمدن في الليل والنهار لتقتل النساء والصبيان وتحرق المزروعات وتقتل المواشي.

وبعد أن بين أسباب الحرب التي يخوضها المغاربة في الريف ضد الاحتلال والغزو الغير الشرعي والإذلال المنافي للكرامة الإنسانية، ويبدي رغبته في السلم القائم على الاستقلال، يوجه نداءه إلى الجزائريين والتونسيين فيقول في هذا الصياغ:

"يأيها المسلمون التونسيون والجزائريون إن الأمر الذي يشق علينا تحمله هو أن نرى أبناءكم يساقون قهرا لمحاربتنا كما أنه يشق علينا أن نرانا ملتزمين لأجل الدفاع عن استقلالنا أن نتقابل في ساحة القتال مع إخواننا في الجنس والدين إنها حالة والله لتتنغص منها نفوسنا حسرا ولتتفتت منها نفوسنا كمدا ألم يقل الله عز وجل – {ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه} (الآية 93 سورة النساء)، إن أربعة أخماس الجيوش التي هي على حدودنا شاهرة السلاح في وجوهنا هم من أبنائكم أيها الإخوان أفما من الواجب عليهم أن ينقضوا على أعدائنا المشتركين المضطهدين لنا ولكم ويديروا سلاحهم عليهم عملا بما توصي به الحمية الإسلامية والغيرة الجنسية وإتباعا للأوامر النبوية الشريفة – {المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا} – (حديث شريف)".

وهنا أعطى الأمير حجة دينية في عدم الاقتتال لأنهم إخوة وخاصة أنهم ملزمون بالدفاع عن أنفسهم لنيل استقلالهم مع العلم أن أغلب الجيش الفرنسي هم من بني جلدته.

وقد أثنى الأمير على أولئك المجندين الذين كانوا تحت الراية الفرنسية ثم فروا والتجأوا إليه وتطوعوا مع إخوانهم الريفيين في مواجهة عدوهم فيقول "نعم لقد فر من الواجهة الفرنسوية ملتجئا إلينا عدد غفير من أبنائكم الجنود والقواد وبادروا في الحين بالتطوع في جيوشنا وحاربوا

ومازالوا يحاربون معنا الأعداء محاربة الأسود". ولعل هذا من أبرز الأسباب التي جعلت الأمير يوجه نداءه للتعاون لأنه أيقن الحقيقة والوعي الذي في أذهان الجزائريين والتونسيين وبالتالي أخذ يحثهم ويحرضهم على الانضمام إليه والإتحاد معه لأن مشكلتهم واحدة وهدفهم واحد.

ثم بعث الأمل في التحرر، إسوة بإخوانهم في أقطار المشرق، خاصة وأن دولة فرنسا خرجت منهكة من الحرب العالمية، وبالتالي لا يجب تضييع هذه الفرصة فيقول "أيها المسلمون الجزائريون والتونسيون لقد جاءت الساعة التي تهب فيها الأمم الإسلامية كافة لتحطم أغلال الاستعباد ولتستعيد مجدها الغابر فهذه طرابلس الغرب ومصر وفلسطين وسوريا والعراق كلها تنقض لطرد المتسلطين عليها وإنقاذ بلادها فهلا بكم أن تستفيدوا من هاته الفرصة السانحة وتنهضوا معنا نهضة الفطاحل الأشداء لتحرير بلادنا قاطبة. إن دولة الفرنسيس البالية لم تزل من حين خروجها من الحرب العامة مهتكة القوى مضعضعة الأركان فإنا إذا تألبنا عليها جميعنا فستكون عاقبتها الهزيمة والتلاشي ولن ينقذها إذ ذاك لا إتحادها مع دولة الاسبان ولامع غيرها".

وفي الأخير يؤكد الأمير على التعاون والتآزر لتكوين عصبة واحدة لطرد الأعداء وتكوين وحدة مغاربية تحت راية جمهورية واحدة.

ومن الشخصيات المشاركة في الحرب الريفية مع الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي شخصية علي الحمامي[1] الذي كان رافضا لسياسة الاستعمار، وقد كتب قصة سماها "إدريس" استمدها من مشاركته في الحرب واحتكاكه بإخوانه المغاربة، وكان للقصة قيمة تاريخية وسياسية وفنية تعرض فيها إلى السياسة الاستعمارية، مع تحليل المجتمع المغربي وأسباب انحطاطه وشروط نهضة الشعوب العربية والإسلامية ووحدة ومصير المغرب العربي وحركاته التحررية.

وقد ذكر في قصته بعض الجزائريين المشاركين في الحرب أمثال سي عبد القادر بن الأخضر، وهو عالم جزائري حيث كان أول المشاركين في الحرب بمجرد إعلانها وكان على رأس مجموعة من المجاهدين الريفيين، وقد أبدى شجاعة ليس لها مثيل، فكان يشارك في جميع

(1) - ولد بمدينة تيارت بالغرب الجزائري وعاش هناك ثم ذهب مع أسرته لأداء فريضة الحج سنة 1922م، بقي في الحجاز ولم يعد إلى الجزائر لرفضه سياسة الاستعمار الذي كان يسيطر على وطنه وأخذ يتجول عبر العالم وفي هذه الفترة نمى معارفه،تعرف في المغرب على الأمير عبد المالك كما شارك في ثورة الريف، كان له اتصالات مع الأمير خالد تفطن الاستعمار الفرنسي لنشاطه فلجأ إلى المشرق سنة 1935م واستقر في العراق وعمل بها مدرسا إلى غاية 1946م حيث ذهب إلى القاهرة وانضم إلى مكتب المغرب العربي، راح ضحية حادث طائرة في باكستان فنقل جثمانه إلى الجزائر ودفن بها سنة 1950م للمزيد أنظر أبو عمران الشيخ: **قضايا في الثقافة والتاريخ**، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2003، ص.ص 261-267.

المعارك والكمائن وفي المساء يعود ليكمل تقديم دروسه إلى الطلبة في المسجد في اللغة العربية أو حول تاريخ المغرب العربي، إلا أن ظروف الحرب أدت إلى إصابته في أحد المعارك من جراء انفجار قنبلة طائرة أصابته في بطنه، فبقي يعاني الآلام طريح الفراش مدة فاقت الشهر، ومع هذا بقي يقدم دروسه للطلبة داعيهم إلى الانضباط والعمل إلى أن وافته المنية وهو على سريره يلقي دروسه[1]

[1] - علي الحمامي: **إدريس**، منشورات ANEP ، الجزائر، 2007، ترجمة محمد يحياتن، ص.ص 334،335.

المضايقات الفرنسية:

من الأسباب التي جعلت الحكومة الفرنسية تشدد في مراقبتها لأبناء المستعمرات هي الحرب الريفية التي كانت في أوجها وكانت تهز الرأي العام الفرنسي نتيجة معارضة بعض الأحزاب للحرب خاصة عن طريق الصحافة والخطب في البرلمان الفرنسي [1]. كما أن فرنسا كانت تخشى من ثورة الخطابي أن تكون عاملا مشجعا للثورات في شمال افريقيا.

لقد عان الجزائريون اضطهادات كثيرة من طرف السلطات الفرنسية نتيجة اتهامهم بوجود علاقة لهم مع ثورة الريف وقد ظهر هذا في نفي الأمير خالد إلى فرنسا سنة 1923م وبعدها في سنة 1925م إلى المشرق العربي بعد أن اتهمته السلطات الفرنسية بعلاقته بثورة الأمير عبد الكريم الخطابي التي كانت في بدايتها [2]، "كما أن عدد من الجزائريين كانوا قد اعتقلوا بحجة أنهم قد دافعوا عن عبد الكريم وتنبؤوا بوصوله قريبا إلى الجزائر لتخليص شعبها من نير المستعمرين، كما أتهم جزائريون آخرون بالتعاون مع الشيوعيين في جهودهم لمساندة الأمير عبد الكريم وتخريب الروح الفرنسية المعنوية في المغرب"[3].

ومن الجزائريين الذين اعتقلوا للشك فيهم في تقديم مساعدة فعالة للمغاربة أو حدوث أي ثورة مشابهة في الجزائر، ما حدث "لجماعة الريغي" والتي اتهموها بتنظيم ثورة في الجزائر لصالح الأمير محمد بن عبد الكريم وبث دعاية معادية لفرنسا.

لأن هذه البعثة أو الجماعة التي يرأسها الريغي والذي لا توجد عنه معلومات تؤكد أصله تواطأت مع الحزب الاصلاحي للأمير خالد الذي كان قد نفي منذ سنتين، وكان يخططون لإشعال ثورة في الجزائر منسقة مع ثورة الريف في المغرب الأقصى وهذا وفق خطة مفصلة. في كتيب يحتوي على 18 درسا يتمثل في تكوين منظمة هجومية قوية تتكون من سبعة أقسام وأربعين خلية منتشرة عبر كامل الجزائر وهذه المعلومات وردت حسب المصادر الفرنسية كما يؤكده الدكتور أبو القاسم سعد الله[4].

وكان دور المنظمة هو بث روح الثورة في الأرياف عن طريق إقناعهم بعدم دفع الضرائب، وعصيان أوامر الإدارة، والقيام بحرب العصابات، وإقناعهم بأن قضية المغرب

---

(1) - بن نبي: مصدر سابق، ص.145.
(2) - بلقاسم: مرجع سابق، ص.106.
(3) - سعد الله: مرجع سابق، ص.313؛ Messali, OP, CIT, P.140
(4) - نفسه،ص.302.

قضيتهم ويجب مساعدتهم والتعاون معهم في طرد عدوهم المشترك، إلا أنه في ربيع 1925م. اعتقلت السلطات الفرنسية في الجزائر جماعة الريغي وحكمت عليهم بسنتين سجنا وألف فرنك غرامة، وحجزت جميع مخططاتهم التي تنادي بإشعال ثورة في الجزائر ويقول "فيوليت أنه كان قد أمر باعتقال أولئك الجزائريين الذين تبرعوا وتعاون مع حركة الأمير عبد الكريم في الريف، وقد قال أنه فعل ذلك لكي يقضي على الخطر الذي كان يهدد الجزائر كلها"[1].

كما قامت السلطات الفرنسية على تضييق الخناق على جريدة المنتقد إلى أن تم توقيفها بصدور ثمانية عشر عددا منها، وكان ابن باديس يتوقع قرار تعطيلها بين الحين والآخر إلا أن جهوده لم تتوقف عند هذا الحد بل سعى إلى إصدار صحيفة أخرى سماها الشهاب والتي كانت أسبوعية وكانت تدعو إلى الإصلاح بمفهومه الشامل، أما الجانب السياسي فقد ورد بشكل مختصر لأهم الأحداث البارزة على الساحة السياسية والدولية آنذاك[2].

وقد اتخذت السلطات الفرنسية سياسة أمنية محكمة للقضاء على أي تحرك يهددها ويؤيد الثورة الريفية ونلاحظ هذا من خلال الرسالة التي أرسلها الحاكم العام الفرنسي بالجزائر إلى عامل عمالة وهران والتي في مضمونها يتكلم عن ثورة الريف وعلاقة ثوارها بالشيخ بن عليوة شيخ الزاوية العلاوية في مستغانم، لأن الشيخ كان له عدد كبير من المريدين من أهل الريف وهذا ما خوفت السلطات الفرنسية وجعلته في محل شك وكانت الرسالة مؤرخة في 20 أوت 1925م[3]. وهو نفس الشهر الذي أرسل فيه الأمير محمد بن عبد الكريم رسالة إلى الجزائريين والتونسيين يحثهم فيها على التآزر ومما جاء فيها "أن تترصد قوات الأمن السرية خطى كل ريفي يقدم إلى الجزائر، لأن غالبية هؤلاء مشكوك فيهم وهذا لحملهم رسائل من الشيخ عبد الكريم الخطابي وبعض قادة الريف المغربي إلى الزاوية العلوية بمستغانم"، ويؤكد في الأخير بأنه سيكون هناك حملات تفتيشية في أي وقت ومن دون إذن إذا التزم الأمر فيقول "أجد نفسي مضطرا من جهة أخرى، أن تكون على علم إذ في حالة اللزوم نباشر عمليات التفتيش داخل الزاوية العلاوية للبحث عن مراسلات آتية من الريف المغربي، وهذا إذا تأكدنا فعلا من خطورتها علينا" [4].

(1) - سعد الله: مرجع سابق، ص.303.
(2) - عبد الرزاق تومبات: **رحلات عبد الحميد بن باديس إلى تونس وفرنسا 1908-1938م**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2010، إشراف الدكتور مولود عويمر، ص.31.
(3) - أنظر ملخص الرسالة، مجلة المواقف، مرجع سابق،ص. 103.
(4) - نفسه، ص.107.

ولم تقتصر المضايقات الفرنسية على الجزائريين الموجودين في وطنهم فقط، بل لاحقت حتى الذين في الخارج وهذا ما حدث لأحمد توفيق المدني الذي طردته فرنسا من تونس إلى الجزائر في جوان 1925م بعدما اتهمته بتأييد الثورة الريفية وإثارة الأهالي بكتاباته[1].

وبالفعل فقد جندت فرنسا كل إمكانياتها في جميع أنحاء الجزائر، وبجميع الطرق، للقضاء على أي تحرك أو مساندة للثورة الريفية، وأخذت جميع احتياطاتها لعدم امتداد شرارة هذه الثورة إلى بقية أقطار المغرب وتكون سببا في ثورانه.

[1] - سعد الله: مرجع سابق، ص.313؛ المدني: مصدر سابق، ص.335.

خاتمة:

صفوت القول أن حرب الريف تعتبر من أغرب حروب التاريخ، لأنها لم تكن حربا يتساوى فيها الطرفان، كما لم تكن حربا بين بلدين، بل كانت بين دولة قوية ومزودة بأحدث الأسلحة وبين زعيم قبلي لا يملك من الأسلحة سوى ما يصادفه في طريقه أو ما يملكه من بنادق قديمة، كما أن رجاله لم يكونوا مدربين على فنون الحرب الحديثة ولا يملكون من أدوية أو علاج يسعفون بها أنفسهم. ورغم هذا حققوا أعظم انتصار عبر التاريخ في سبيل العيش في حرية وفي سلام، وقد أظهرت الحرب القوة التي يتميز بها أهلها ومواجهتهم للعدو بكل بأس وأظهرت للأمم قوة الشعب في تقرير مصيره رغم كل أنواع القهر.

لقد ساهم محمد بن عبد الكريم الخطابي في تفعيل الحرب وأظهر جدارته بالمسؤولية وأخلاقه في المعاملة التي يعامل بها عدوه، كما أظهر عبقريته في جمع شمل القبائل والقضاء على التناحر والتنابذ فيما بينهم، وبين لهم الهدف الذي يوجهون إليه قوتهم في تحرير بلدهم بحيث بايعته جميع القبائل قائدا وأمير عليها، واستمرت ثورة الريف في مواجهة الاحتلال الاسباني وتوحدت القوى المغربية عام 1924م بعدما اندمجت ثورة الجبالة بقوادها وقبائلها مع ثورة الريف، وواصل الجميع كفاحهم المسلح لتحقيق أهدافهم وهو نيل استقلالهم واستقلال المغرب ثم المغرب العربي ككل، حتى منتصف عام 1926م، إذ انقضت الدولتان الاستعماريتان على الثورة الريفية وحاصرتها من كل جانب ، وتعاونت معها في الحصار العسكري والعدوان المباشر، كل من بريطانيا بسلاحها البحري والولايات المتحدة الأمريكية بسلاحها الجوي، وأكدت هذه القوى الاستعمارية تضامنها وموقفها المعادي لحرية الشعوب وطموحاتها المشروعة في الحرية والاستقلال التام.

لقد جعل الخطابي من نفسه أسطورة تترامى من ورائه القبائل تؤمر بأمره وتنهى بنواهيه وأيضا بالنسبة للمستعمر الاسباني ومن بعده الفرنسي الذين اعترفوا بقوته وحكمته وخطورة ثورته لأنهم يعلمون بأنها الوميض الذي يلتف حوله جميع الشعوب المستعمرة.

لقد كانت لحرب الريف أصداء في جميع الدول خاصة المستعمرة منها. ومنها الجزائر بحكم جوارها وخضوعها لنفس المستعمر الذي فرض حمايته على المغرب وعجل في القضاء على الثورة الريفية بتحالفه مع اسبانيا وبالتالي أصبح الخطر واضحا بامتداد روح الانتصار إلى الجزائر وتأثرها بشخصية الخطابي وبأخبار الريف ومحاولة الاتصال به والنداء إليها.

وقد كان التأييد واضحا في الأوساط الجزائرية عند العامة أو النخبة في الداخل أو الخارج وكل عبر حسب طريقته فأصبحت موضوع أيامهم وأخذت مساحة في كتاباتهم، وقد سعت السلطات الفرنسية إلى بسط سيطرتها واستعمال أساليبها من اضطهاد وقمع لجميع من يؤيد الحرب الريفية خوفا من أن تكون سببا في امتداد لهيبها إلى الجزائر.

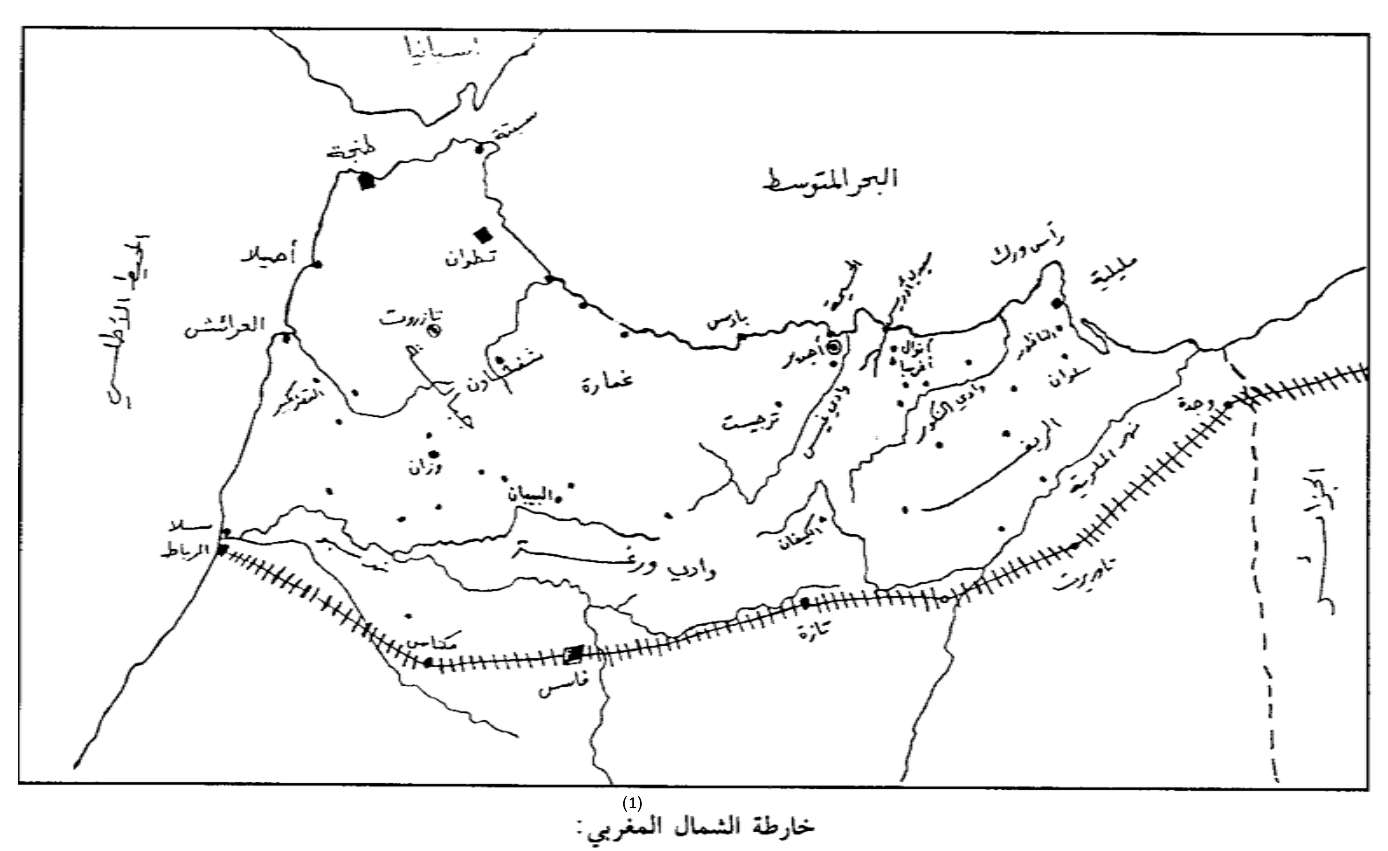
لم تكن نهاية ثورة الريف نهاية للمقاومة المغربية ضد الاحتلال الثنائي الاسباني والفرنسي بل أصبحت نقطة الانطلاق والملهم للحركة الوطنية المغربية والمغاربية، وأصبح الخطابي رمزا للجهاد الوطني المغربي مثلما أصبح رمزا للجهاد العربي ضد القوى الاستعمارية.

كما أكدت ثورة الريف أن الطابع المحلي والوطني والقومي والإنساني والبنية الاجتماعية والوحدة الوطنية هي أساس المواجهة للتحديات الاستعمارية، وأن هذه الوحدة تزداد قوة وقدرة على المواجهة بعمقها ووعيها الديني والوطني والإيمان بعدالة القضية التي يقاتل من أجلها الإنسان العربي، قضية الحرية والاستقلال ورفض الخضوع والاستلاب والافتقار والإذلال والتضحية من أجل ذلك حتى الاستشهاد.

وهكذا حجزت تلك الحرب للأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي مكانة بين كوكبة من فحول مقاومي الاستعمار من أمثال الأمير عبد القادر، وعمر المختار، وغيرهم في الدول المستعمرة

الملاحق

الملحق رقم: 01

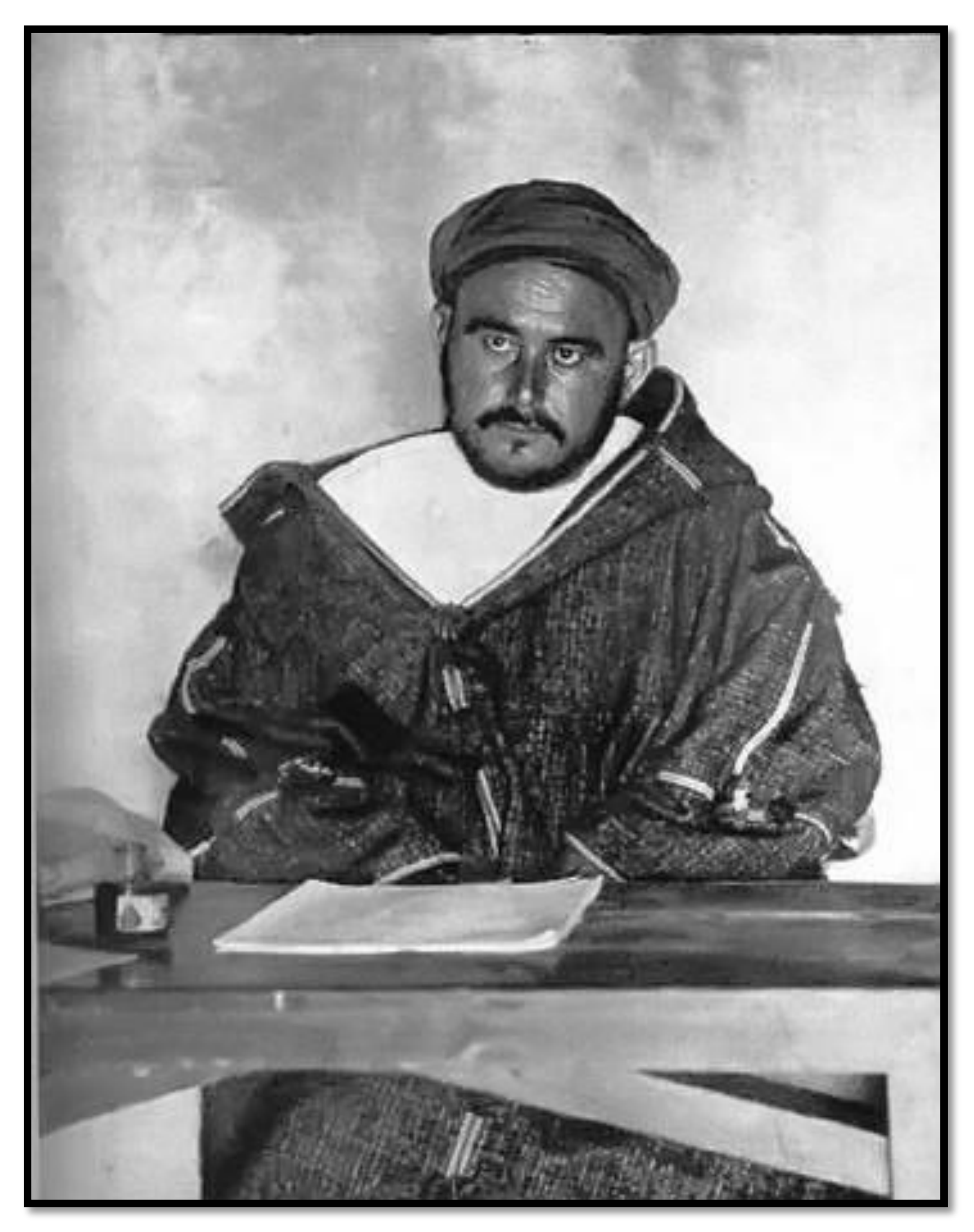


خارطة الشمال المغربي:[1]

■ العواصم – ◎ المراكز المهمة – ~ أنهار – ### سكة حديد

[1] الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي : **صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار 1912-1927**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010، تحقيق محمد علي داهش، ص.45 .

الملحق رقم: 02



صورة للأمير محمد ابن عبد الكريم الخطابي في مكتبه [1]

[1] الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي : **صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار 1912-1927**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010م تحقيق محمد علي داهش، ص.230.

الملحق رقم: 03

وكان تشكيل الوزارة التي نص عليها الدستور كالآتي[1]:

1 -الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي .... رئيسا للجمهورية.

2 -أمحمد بن عبد الكريم الخطابي .... مستشارا للرئيس ونائبا له.

3 -عبد السلام الخطابي .... وزير للمالية.

4 -محمد أزرقان .... وزير للخارجية.

5 -عبد السلام بن الحاج محمد البوعياش .... وزير للدفاع ثم استبدل بعد ذلك بالسيد أحمد

بودرة.

6 -احمد بودرة ....وزير للداخلية ثم استبدل بعد ذلك بالسيد

اليزيد بن . الحاج حمو المحاولي

الورياعلي.

7 -محمد بن علي بو لحية .... وزير للعدلية.

كما عين بعض المسؤولين المساعدين لبعض الوزارات في إدارة شؤونها: ومنهم.

أحمد أكرود .... مديرا عاما للأوقاف.

محمد بن صالح .... قاضيا للقضاة.

عمر بن محمد .... مديرا للجبايات.

احمد بوجبار .... متصرفا ومساعدا لوزير المالية.

علي بن محمد بن فطومة .... مديرا عاما للمدفوعات في الخزينة.

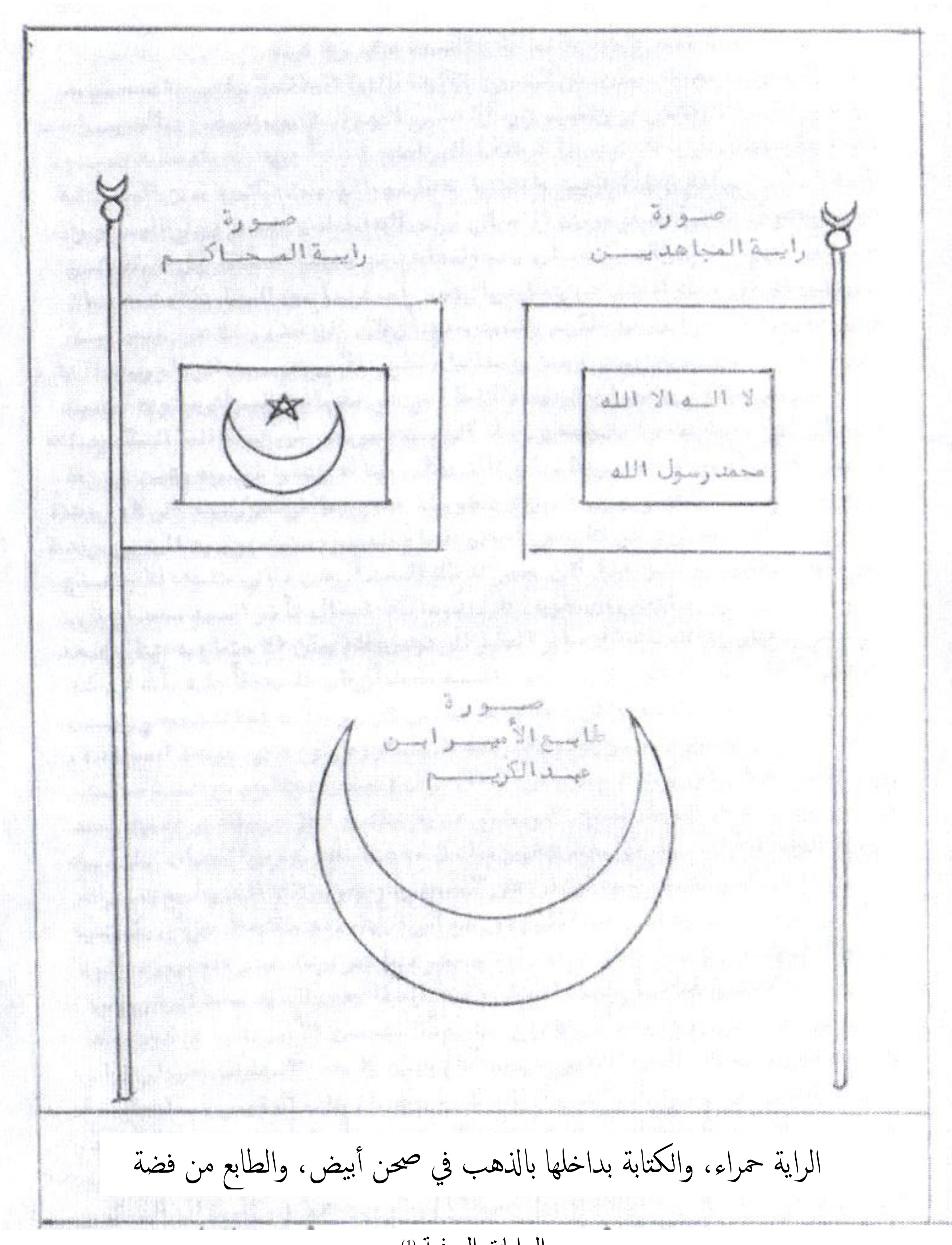
حدو بن علي المعلم .... مفتشا عاما للبحرية.

حدو بن زيان .... المكلف بالبروتوكول (التشريفات).

---

[1] - الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي : **صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار 1912-1927**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010م، تحقيق محمد علي داهش، ص.139.

الملحق رقم: 04



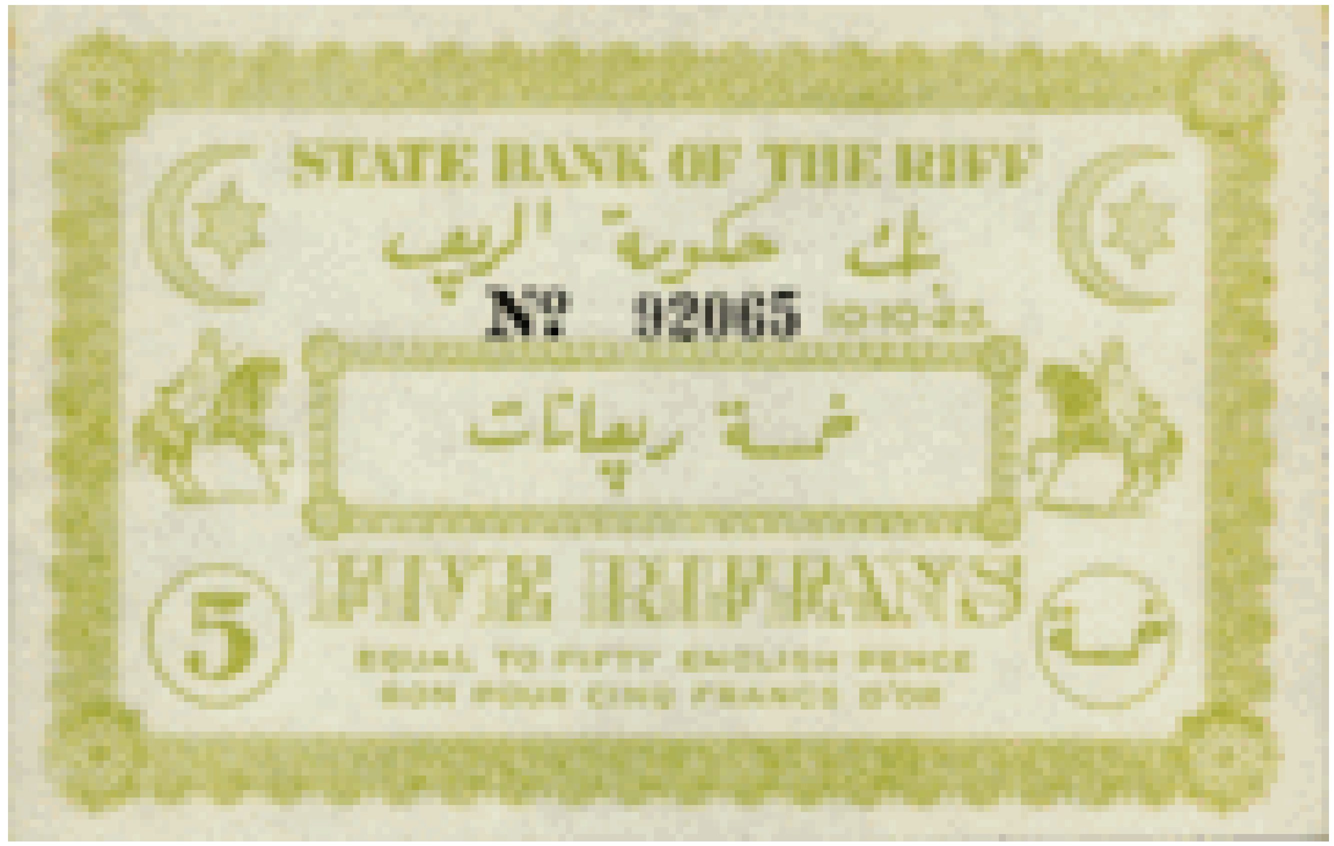
الرايات الريفية [1]

---

[1] أحمد سكيرج الخزرجي الأنصاري: **الظل الوريف في محاربة الريف**، (د.د.ن)، الجديدة، 1926م، إعداد محمد الراضي كنون الحسني الإدريسي، ص93.

الملحق رقم: 05

STATE BANK OF THE RIFF
بنك حكومة الريف
№ 201376 10-10-23.
واحد ريفان
ONE RIFFAN
1
واحد
EQUAL TO TEN ENGLISH PENCE
BON POUR UN FRANC D'OR



الأوراق النقدية التي وجدت على شاطئ البحر، (واحد ريفان بالأحمر وخمسة ريفانات بالأخضر)[1]

---

[1]- الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي : **صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار 1912-1927**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010، تحقيق محمد علي داهش، على الغلاف.

الملحق رقم:06

ب- من الزعيم أحمد محمد الريسوني إلى الزعيم محمد عبد الكريم الخطابي

10 ربيع الثاني 1341هـ/ 20 نوفمبر 1922م:

«صحبنا الأمجد، الفقيه الأسعد، الفارس الأنجد، السيد محمد بن عبد الكريم أمنك الله وسلام عليكم، ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، فبناء على ما كان تقدم بيننا وبينك كتابةً ومراسلةً، قد حدث عندنا أمر جديد وجب إعلامك به فقد انتخبنا صاحبنا حامله الحاج محمد بومغيث الطنجوي لما له من المعرفة بطرق تلك الناحية - وعندنا فيه الثقة التامة لما سلف بيننا معه من المذاكرة في أمور عديدة ومهمة لأنه موصوف عندنا بالصدق وكتمان الأسرار فلذلك انتخبناه لقضاء هذا الغرض بالمشافهة بما عرفناه به وأمرناه بتبليغه إليك لتجيبه على مقتضاه بالمشافهة أيضاً.

نعم فإن كان عندك أحد من أصدقائك وخاصة أحبائك وظهر لك بأن توجهه إلينا في رفقة الحامل لقصد أن نتشافه معه أيضاً ويرجعون إليك بحيث تعيّن أنت واحداً من جانبكم يكون يترافق مع الحامل ذهاباً وإياباً حتى تتمّ مراسلات المفاوضة في الأمور الحادثة جديداً فهو أولى. وإن لم يكن عندك توجيه أحد من جانبكم فأجب الحامل مشافهة على ما يخاطبك به بالنيابة على لساننا ولا بد والسلام.

10 ربيع الثاني عام 1341هـ- (20 نوفمبر - 1922)

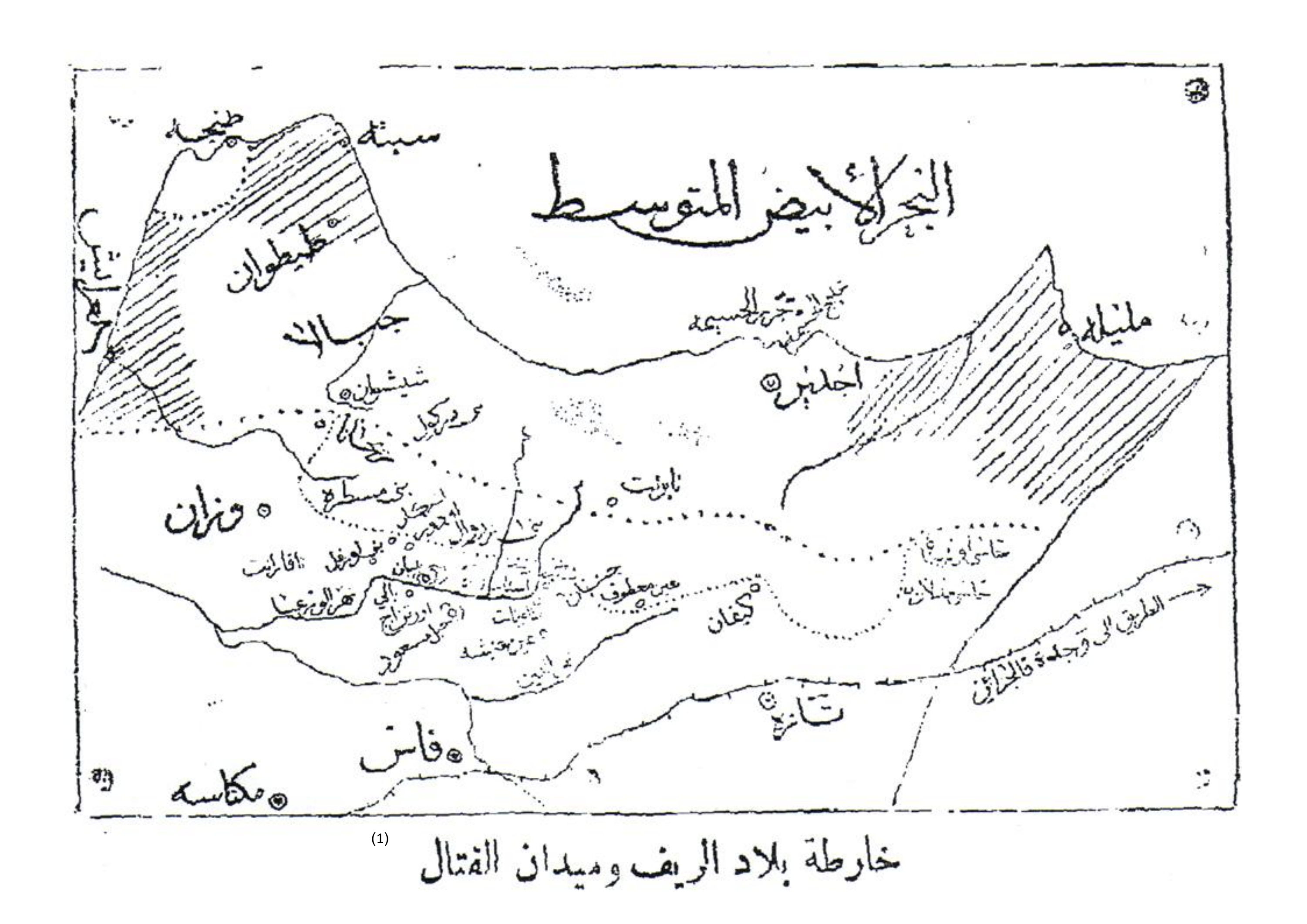
أحمد بن محمد الريسوني

رسالة من أحمد بن محمد الريسوني إلى الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي[1]

---

[1]- الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي : **صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار 1912-1927** ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010، تحقيق محمد علي داهش، ص.227 .

الملحق رقم:07

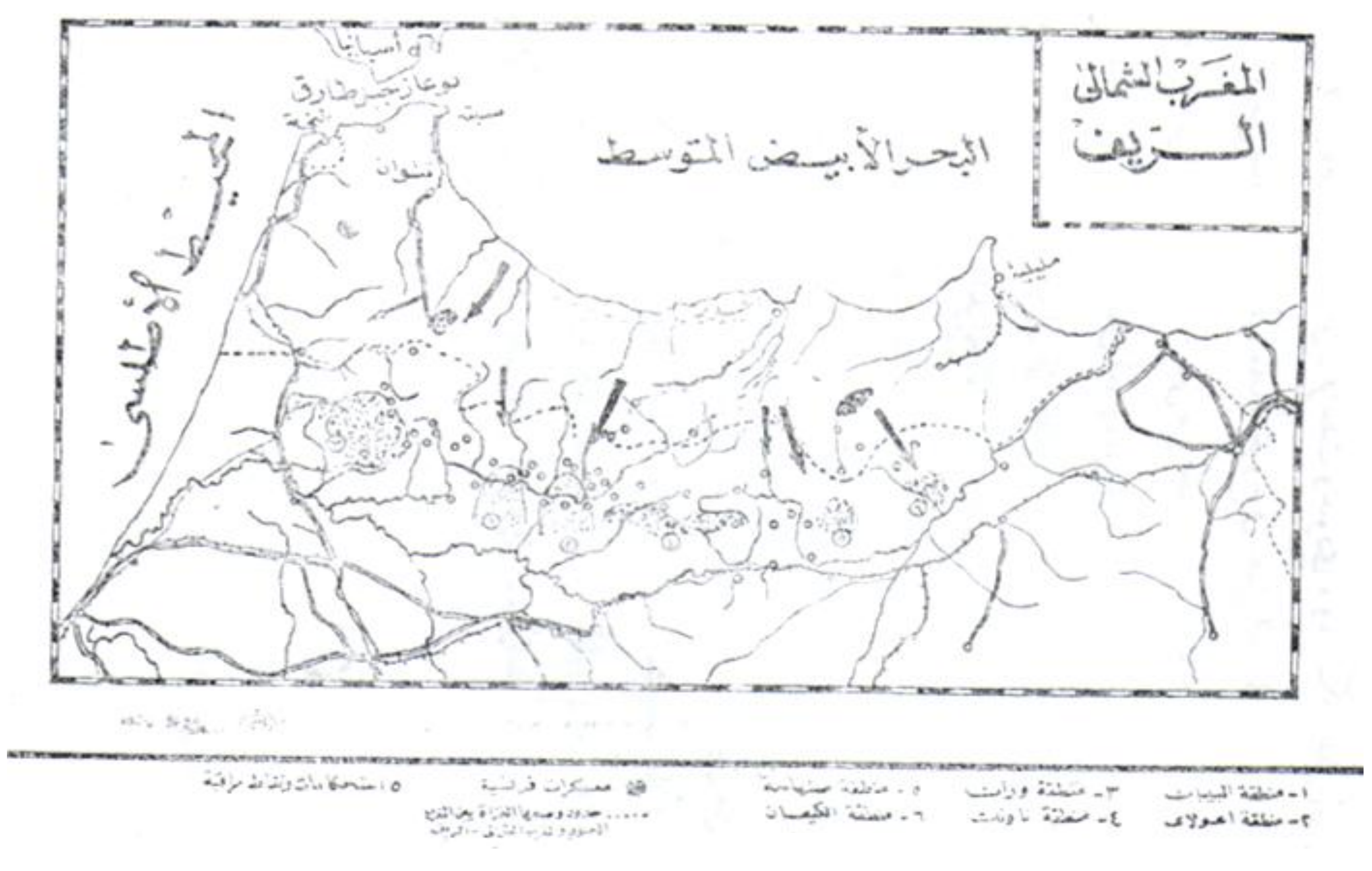


خارطة بلاد الريف وميدان القتال [1]

انحصار القوات الاسبانية.

[1] كريم خليل ثابت: **عبد الكريم والحرب الريفية**، مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، 1925م، في المقدمة.

الملحق رقم:08

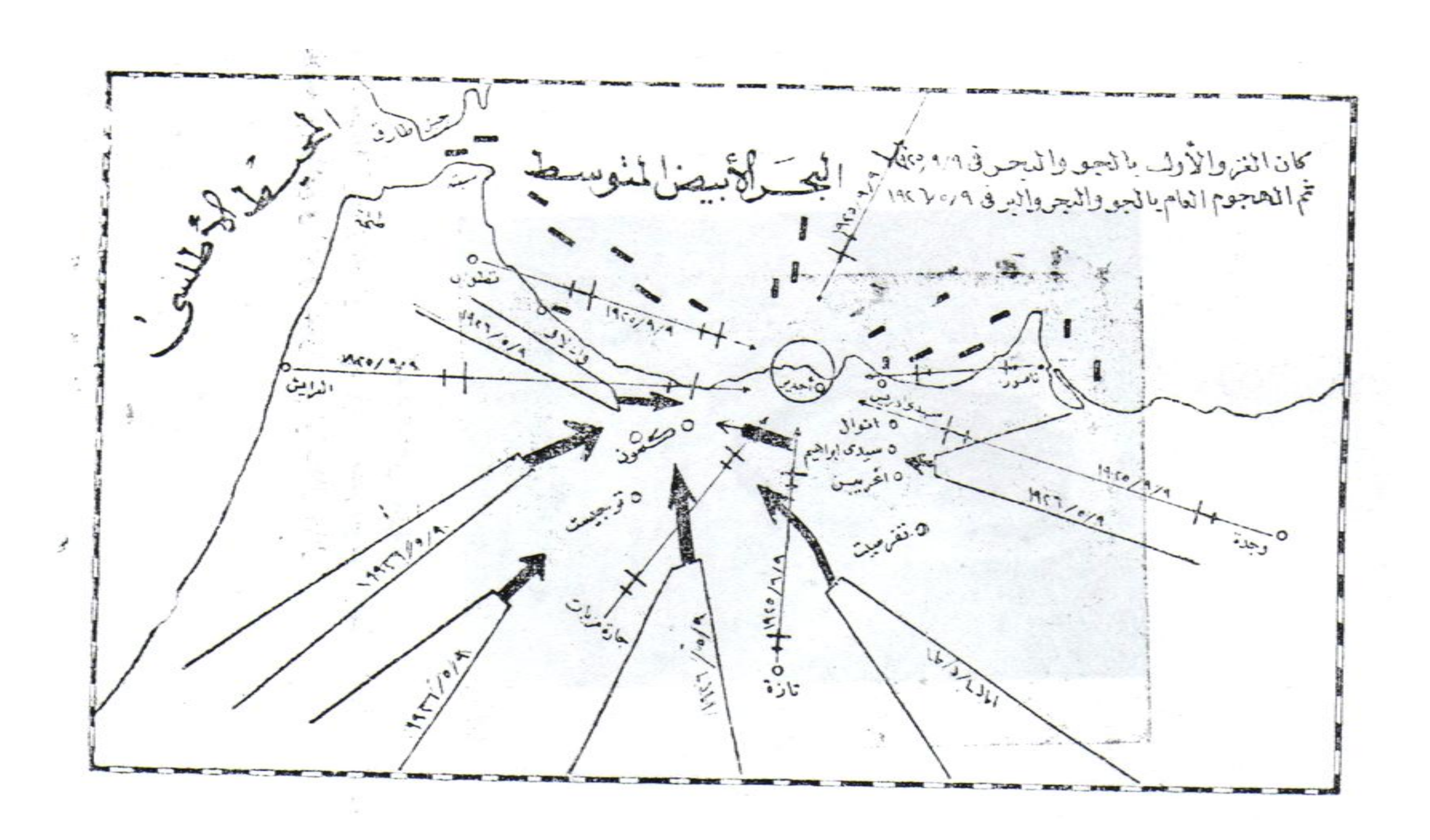


الحرب ضد فرنسا في الجبهة الجنوبية[1]

---

(1) محمد سلام أمزيان: **عبد الكريم الخطابي وحرب الريف،** مطبعة المدني، القاهرة، 1971، ص195.

الملحق رقم:09



الهجوم الفرنسي الإسباني على الريف [1]

---

[1]- محمد سلام أمزيان: **عبد الكريم الخطابي وحرب الريف**، مطبعة المدني، القاهرة، 1971،، ص225.

الملحق رقم:10

رسالة من الامير السيد محمد بن عبد الكريم في التفويض
لوزير خارجيته وقن رافقه للمفاوضة مع فرنسا واسبانيا
نص كتاب من الامير ابن عبد الكريم

الحمد لله وحده. تمسينت 14 أبريل 1926
أنا محمد بن عبد الكريم الخطابي أمير السكان المشمولين بخطوط دفاعنا من الجبل والريف، أشهد على نفسي بشكلي أني فوضت لسفيرنا، وناظر خارجيتنا السيد محمد بن محمد أزرقان في المذاكرة مع نواب دولتي فرنسا واسبانيا، وعقد الصلح وابرامه مع الدولتين، تفويضا يخوله المخابرة في جميع الامور اللازمة لعقد الصلح. والسلام. محمد ابن عبد الكريم الخطابي كان الله له.

الحمد لله وحده. تمسينت 14 أبريل 1926
أنا محمد بن عبد الكريم الخطابي أمير سكان الجبل والريف المشمولين بخطوط دفاعنا أشهد على نفسي أني قد عينت السيد أحمد بن الحاج الشديدي كاتبا لسفارتنا للمفاوضة مع دولتي فرنسا واسبانيا، مما يخص الصلح بيننا وبينهما، والسلام. محمد بن عبد الكريم الخطابي كان الله له.

الحمد لله وحده. تمسينت 14 أبريل 1926
أنا محمد بن عبد الكريم الخطابي أمير السكان المشمولين بخطوط دفاعنا من الجبل والريف، أشهد على نفسي أني قد عينت السيد القائد حدو بن حمو ملحقا في سفارتنا للمخابرة مع دولتي فرنسا واسبانيا في شأن الصلح، وصينا لها فيما أنيط بهما والسلام. محمد بن عبد الكريم الخطابي كان الله له.

الرسائل التي بموجبها تم تفويض من يقوم بالمفاوضة مع فرنسا وإسبانيا لعقد صلح [1]

---

(1) أحمد سكيرج الخزرجي الأنصاري: **الظل الوريف في محاربة الريف**، (د.د.ن)، الجديدة، 1926م، إعداد محمد الراضي كنون الحسني الإدريسي، ص.100.

الملحق رقم: 11

نص رسالة الأمير إلى الجزائريين والتونسيين[1]:

أجدير اوط 1925 الموافق 26 محرم الحرام عام 1344

من الأمير عبد الكريم إلى الأمة الجزائرية والتونسية أحييك أيتها الأمة النبيلة باسم الشعب الريفي الذي قام يناضل في سبيل حريته ويجاهد وراء إعلاء كلمة الله ونصرة المسلمين.

إن الشعب الريف في جهاده المقدس قد عان ما عاناه من ألام الحروب ومصائبها بدون أن تحبط همته أو تخر قواه حتى أيده الله بنصر من عنده ودمر دولة الاسبان الباغية وطردها من البلاد مسبولة بأذيال الذل والانكسار وما كادت جيوشنا المظفرة تسحق هذه الدولة اللئيمة ويتسنى لشعبنا الأخذ بالمعيشة في الهدوء والسلام والانكباب على الأشغال بأشغاله وزراعة أراضيه حتى قامت دولة الفرنسييس الجائرة وأغارت علينا الحرب طمعا في اكتساح بلادنا ونجدة لجارتها المخذولة بدافع العصبية الملية وعملا بتقاليد السياسة الأروبية القائلة بوجوب تألب الدول الافرنجية على الأمم الاسلامية .....

ويا أيها المسلمون التونسيون والجزائريون إن الأمر الذي يشق علينا تحمله هو أن نرى أبناءكم يساقون قهرا لمحاربتنا كما أنه يشق علينا أن نرانا ملتزمين لأجل الدفاع عن استقلالنا أن نتقابل في ساحة القتال مع إخواننا في الجنس والدين إنها حالة والله لتتنغس منها نفوسنا حصرا ولتتفتت منها نفوسنا كمدا ألم يقل الله عز وجل "ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه" الآية...

فيا إخواننا الجزائريين والتونسيين فلقد آن أوان تخليص نفوسنا من نير الاستعمار الفرنسي. فلنستزفز هممنا ولنقم بمعاضدة بعضنا البعض فنسترد مجدنا ونستعيد استقلالنا إن الدين المعاونة والجنة تحت ظلال السيوف ولننتهي من محاربة بعضنا بعض ومن قتل الأخ أخاه دفاعا عن الأعداء.

ولتدر أبناؤنا الأسلحة التي بأيديها على أعدائنا وليقتلوهم بسلاحهم. ولنكن عصبة واحدة لنقوى على دحض الأعداء وليتهيأ لنا تشكيل جمهورية ضخمة تكون أركانها جميع بلاد إفريقيا. أزف إليكم إخواني هذه الكلمات لعل فيها تبصرة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وسلام على من اتبع طريق الهدى وسبيل الرشاد

محمد بن عبد الكريم الخطابي

كان له الله

- بتصرف –

(1)- محمد قنانش، محفوظ قداش: **نجم الشمال الافريقي 1926-1937م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002، ص.ص. 26- 30.

المصادر والمراجع

المصادر:

بالعربية:

1 أمزيان محمد سلام: **عبد الكريم الخطابي وحرب الريف** ، مطبعة المدني، القاهرة، 1971م.

2 الأنصاري أحمد سكيرج الخزرجي: **الظل الوريف في محاربة الريف** ، إعداد محمد الراضي كنون الحسني الإدريسي، (د.د.ن)، الجديدة، 1926م.

3 بن نبي مالك: **مذكرات شاهد القرن** ، ط$_2$، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1984م.

4 تشرشل تشارلز هنري: **حياة الأمير عبد القادر** ، ترجمة أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، طبعة خاصة، الجزائر، 2009م.

5 ثابت كريم خليل: **عبد الكريم والحرب الريفية** ، مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، 1925م.

6 الحمامي علي: **إدريس**، ترجمة محمد يحياتن، منشورات A N E P، الجزائر، 2007م.

7 الخطابي محمد بن عبد الكريم: **صفحات من الجهاد والكفاح ضد الاستعمار 1912 – 1927م**، تحقيق محمد علي داهش، ط $_1$، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2010م.

8 الريحاني أمين: **المغرب الأقصى**، رحلة في منطقة الحماية الاسبانية، دار المعارف، مصر، 1952م.

9 شحاتة إبراهيم: **نصوص ووثائق في تاريخ المغرب تحت حكم الحماية** ، مطبعة الشباب الحر ومكتبتها، توزيع منشأ المعارف بالأسكندرية، 1977م.

10 – الفاسي علال: **الحركات الاستقلالية في بلاد المغرب العربي،** ط$_5$، منشورات علال الفاسي، الرباط، 1993.

11 – قنانش محمد ، قداش محفوظ: **نجم الشمال الإفريقي 1926 –1937م**، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2002م

12 – لاندو روم: **أزمة المغرب الأقصى**، ترجمة محمد اسماعيل علي، حسين الحوت، راجعه الدكتور عبد العزيز الأهواني، ج$_1$، المكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، 1961م.

13 – لاندو روم: **تاريخ المغرب في القرن العشرين** ، ترجمة الدكتور نقولا زيادة، مراجعة الدكتور أنيس فريحة، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1963مس

14 – اللوه العربي: **المنهال في كفاح أبطال الشمال**، مطابع الشويخ ديسبريس، تطوان، 1982م.

15 – المدني أحمد توفيق: **حياة كفاح** ، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1988م.

16 – ملحس رشدي الصالح: **سيرة محمد بن عبد الكريم الخطابي** ، المطبعة السلفية، القاهرة. 1925م

بالفرنسية:

Messali Hadj Ahmed, **Mémoires 1898- 1974,** Edition Jean Claude Lattes, Paris, 1985.

Mahfoud Kaddache, Mohamed Guenaneche, **Lé Toile Nord Africaine, 1926- 1937,** Office Des Publication Universitaires, Alger, 2002.

المراجع:

بالعربية:

1 أبو عمران الشيخ: **قضايا في الثقافة والتاريخ**، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2003م.

2 الإدريسي علي: **عبد الكريم الخطابي التاريخ المحاصر**، ط1، منشورات تفرازن اعريف، مطبعة النجاح الجديدة، 2007م.

3 بن جلول عبد الحميد: **جولات في مغرب أمس بعيد الحماية**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1975م.

4 -.................**:جولات في مغرب أمس قبيل الحماية**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، (د.ت.ط).

5 بنشنهو عبد الحميد بن أبي زيان: **النظام الإداري بالمغرب**، ط3، مطبعة الرسالة، الرباط، 1962م.
6 التازي عبد الهادي: **الحماية الفرنسية بدؤها- نهايتها**، حسب افادات معاصرة، دار الرشاد الحديثة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (د.ت.ط).
7 تركي رابح عمامرة: **الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة العربية في الجزائر المعاصر**، موفم للنشر، الجزائر، 2007م.
8 الجزنائي محمد بن عمر بن علي العزوزي: **محمد بن عبد الكريم نادرة القرن العشرين في قتال المستعمرين**، دار الأمان للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 2007م.
.
9 جوليان شارل أندري وآخرون: **الخطابي وجمهورية الريف**، تعريب صالح بشير، ط1، دار إبن رشد للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.
10 - دي ما دار رياغا مارية روسا: **مغاربة في خدمة فرانكو**، ترجمة كنزة الغالي، ط1، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006م.

11 - زوزو عبد الحميد: **الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914-1939) نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
12 - سطورا بنيامين: **مصالي الحاج 1898 1947**، ترجمة الصادق عماري، مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.
13 - سعد الله أبو القاسم: **الحركة الوطنية الجزائرية 1900- 1930.** ج2، ط3، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1983م.
14 - سلمان إسماعيل: **من القبيلة إلى الأمة "ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي"**، دار التوحيد للنشر، (د.م.ن)، (د.ت.ط).
15 - الشريف محمد بن موسى: **عظماء منسيون في التاريخ الحديث**، ط1، دار الأندلس الخضراء، (د.م.ن)، 2010م.
16 - العلمي محمد: **زعيم الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي**، ط1،مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء، 1968م.

17 – عويمر مولود: **أعلام وقضايا في التاريخ الاسلامي المعاصر**، ط1، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

18 – ....: **مالك بن نبي رجل الحضارة** مسيرته وعطاؤه الفكري، دار أمل، تيزي وزو، الجزائر، 2007م.

19 – عياش جرمان: **دراسات في تاريخ المغرب**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1986م.

20 – غلاب عبد الكريم: **قصة المواجهة بين المغرب والغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.

21 – فارس محمد خير: **تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب 1912– 1939**م، دراسات في تاريخ شمال افريقيا الحديث، (د.د.ن)، (د.م.ن)، 1972م.

22 – الفاسي علال: **حديث المغرب في المشرق**، ط1، المطبعة العالمية، القاهرة، 1956م.

23 – قنان جمال: **المقاومة المغربية ضد الاحتلال الفرنسي من إحتلال فاس إلى معركة الهري 1911– 1914م**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م.

24 – المحامي محمد عبد المنعم إبراهيم ، الصوفي محمد عبد الوارث: **الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الشمال الإفريقي**، ط1، المكتبة العلمية ومطبعتها، القاهرة، 1958م.

25 – المستشار عبد الله العقيل، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة**، ج1،ط7، دار البشير، (د.م.ن)، 2008م.

26 – ميكل مرتن: **الإستعمار الاسباني في المغرب 1960– 1956 ترجمة عبد العزيز الودي**، منشورات التل، ط1، مطبعة النجاح، الرباط، 1988م

بالفرنسية:

1- Charles André Julien, **Le Maroc Face aux Impérialismes, 1415-1956**,Editions J a Paris,1978.
2- ……………………………., **L'Afrique du Nord En Marche**, Nationalismes musulmans et Souveraineté Française, Julliard Paris 1972.
3- Ihaddaden Zahir, **Histoire de La Presse Indigène en Algérie,** ENAL, Alger, 1981.
4- Zakya Daoud , **Abdelkrim Une épopée d'or et de sang,** Editions Séguier, Atlantic, Paris, 1999.

الصحف والمجلات:

1 مجلة تاريخ وحضارة المغرب.
2 مجلة البحث العلمي.
3 المجلة التاريخية المغربية.
4 المواقف:(مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ).
5 المصادر: (مجلة يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية).
6 المنتقد: (مجموعة جريدة المنتقد).
7 النجاح.
8- Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée.

الرسائل الجامعية:

1 بلقاسم محمد: **الإتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910–1954م**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 1994م، إشراف الدكتور أبو القاسم سعد الله.
2 توميات عبد الرزاق: **رحلات عبد الحميد بن باديس إلى تونس وفرنسا 1908–1938م**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2010م، إشراف الدكتور مولود عويمر.

المعاجم والموسوعات:

1 أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة : **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب، الجزائر، 2000.

2 ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر: **موسوعة أعلام المغرب**، تنسيق وتحقيق محمد مجي، ط$_{1}$، ج$_{9}$، دار الغرب الإسلامي، 1996م.

3 كنون عبد الله: **موسوعة مشاهير رجال المغرب**، ط$_{2}$، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1994م.

4 الزركلي خير الدين: **الأعلام**، قاموس تراجم، ط$_{10}$، ج$_{6}$، دار الملايين، بيروت، 1992م.

الفهرس